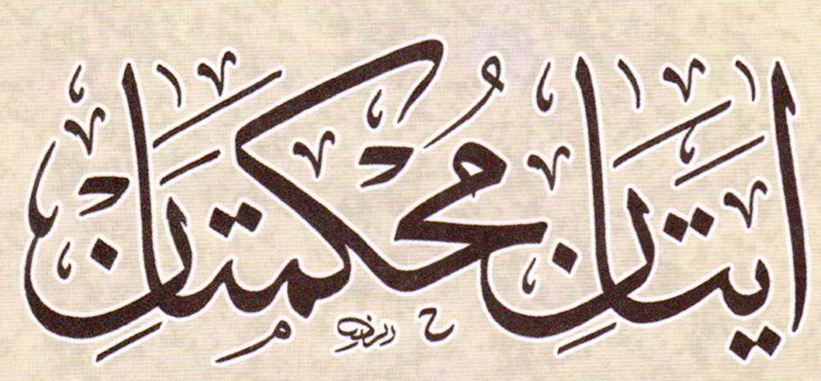
المحقق آية الله الشيخ محمد السند



نظرة تفسيرية على آيتي
النور والتطهير

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العلمين الرحمن الرحيم ملك
يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

تحرير
أحمد بن حسين العبيدان


شبكة الفكر
alfeker.net

آيتان محكمتان

نظرة تفسيرية على آيتي

(النور والتطهير)

آية الله المحقق الشيخ

محمد السند البحراني

تحرير وتعليق

أحمد بن حسين العُبيدان

هوية الكتاب

الكتاب: آيتان محكمتان

من محاضرات: آية الله المحقق الشيخ محمد السند البحراني

المحرر: الشيخ أحمد بن حسين العبيدان

الناشر: آيه حيات

الإخراج الفني: كمبيوتر المجتبى عليه السلام (جعفر الوائلي)

الطبعة: الأولى ١٤٣٠ هـ

شابك: ١ ـ ٣٦ ـ ٢٦٢٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ ESBN

مركز التوزيع: مكتبة فدك ـ شارع الشهداء ـ سوق الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

الطابق الأرضي ـ هاتف: ٧٨٣٣٦٢٤

قبل البدء

كنا جلوساً في بيت سماحة الشيخ السند (حفظه الله) يوم جمعة من أيام شهر جمادى الثانية عام ١٤٢٩ هـ بعد انتهاء مجلس العزاء وكان قد عُقد باسم السيدة الزهراء عليها السلام ، فبدأ الإخوة بطرح الأسئلة على سماحة الشيخ، وكان بعضها عقائدي وبعضها تاريخي والبعض الآخر حول الآيات القرآنية، ومن ضمن الأسئلة، سؤال كان حول كلمة (إل) في سورة الصافات: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ ، ثم انجرّ بنا الحديث عن آية التطهير، بعدها أخذ الشيخ يتكلم عن مواضيع هذه الآية (التطهير) ، وذكر أنه ألقى ثلاث محاضرات في شرحها وتفسيرها، وكنت يومها

مشغولاً بتأليف كتاب (إشراقات من الصلاة على النبي وآله) فأخذت أُكثر السؤال والجواب عن آية التطهير وما قرأته عنها، وطرحت بعض ما دوّنته من نكات استفدتها وأدرجتها في الكتاب المذكور... وبعد طول الحديث، وحيث أن الجلسة كانت عامة، أخذ الإخوة بالسؤال والجواب في مواضيع عدة... ولما أن أردنا الاستئذان والخروج من عنده طلب مني أن آخذ القرص (CD) الذي يحتوي عدداً من محاضرته من السيد يوسف زلزلة (لبناني) وأن أكتب هذه المحاضرة، وأشار إلى أن معها آية النور، وقال بما نصّه ـ والذي دونته على أوراق كانت بحوزتي يومها ـ : (ذكرت فيها نكات دقيقة، خرجتُ في شرحي وتفسيري للآية عن النمط المألوف والمتعارف في التفسير).

وفعلاً أخذت بتدوين المحاضرتين من القرص (CD)

وبدأت بترتيبها، ثم عرضتها على سماحة الشيخ مرتين، وفي الثانية طلب مني تسليمها إلى (مكتبة فدك) فسلمت الأوراق لهم، وهناك واجهتنا محطات توقّف... ثم أعدتها له ثالثة، بعد ذلك قررت الإقدام على الطباعة... فخرج الكتاب بهذه الصورة، والحمد لله، ونسأله القبول .

نظرة تفسيرية على آية

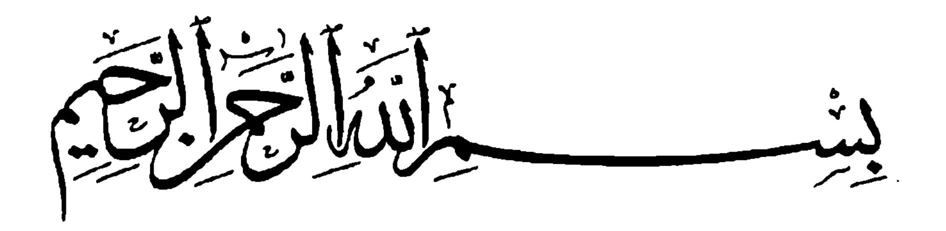
(النور)

آية الله المحقق الشيخ

محمد السند البحراني

آية النور

مُقدِّمة



وأفضل الصلاة وأتم التسليم على الطهر الطاهر، والعَلَم الزاخر، النبي الأمي العربي، محمد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا

﴿يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾[1] .

البحث في هذه الآية المباركة يتفرع إلى عدّة نقاط مهمّة:

النقطة الأولى: أن الآية بدأت بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ثم تغير معنى التعبير إلى قوله تعالى ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ ، فالآية تشير إلى أن النور مضاف إلى ذات الله تعالى، بمعنى أنه نُسب إلى الله تعالى، والمقصود هو أنه مخلوق له (عزّ وجلّ) ، ويُراد من هذا: بيان أن هذا النور ليس هو عين الذات بل هو علامة مخلوقه له سبحانه وتعالى .

والآية تشرح فعل الله تعالى، وفعله هو ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

١ـ سورة النور: ٣٥.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٤] ، فهي مخلوقة، والنور مخلوق . وعليه فليس هناك شرح لذات الإله الأزلية؛ لأن (إله) ليست ممتزجة في كلمة (الله) بالسماوات والأرض .

وإذ ما أخذنا معنى (النور) عموماً فإنه يعني: ما يُبيّن الأشياء، فنور الشيء: هو ما يُظهره ويبيّنه[١] .

وقد يكون الإظهار لذلك الشيء من حيث الصفات التي تُعرض عليه؛ كأن يُظهر نور المصباح ـ مثلاً ـ مكانَ وشكل شيء مّا، أو يُظهر لونه وحجمه، ولكن هذا الإظهار قد يكون إظهار تكوين لذات الشيء، بمعنى إيجاده، كما هو الحال في إظهار الله تعالى للبشر وباقي المخلوقات من العدم إلى عالم الوجود هذا، فإن هذا الإظهار هو إيجادٌ بعد الخفاء والعدم .

١ـ المنجد: ص ٨٤٥ مادة (نور).

وعندما عبّرت الآية المباركة بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فإن معنىً آخر يُستفاد منها متضمنة له بين خفاياها، وهو أن الله (عزّ وجلّ) هو ملكوتٌ وباب لتلك السماوات وتلك الأرض، وأنهما حالة ظُلمانية خافية تكويناً وباطناً وملكوتاً، ولا يُظهر هذا الخفاء الملكوتي الباطني إلاّ هذا النور، وهذا ما سنأتي عليه ـ إن شاء الله ـ بشكل أوسع وأعمق.

النقطة الثانية: أن الآية المباركة حوت خمسة تشبيهات لهذا النور الإلهي وهي:

الأول: ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾. الثاني: ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾. الثالث: ﴿فِي زُجَاجَةٍۖ﴾. الرابع: ﴿كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾. الخامس: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾.

وهناك من جعل بدل التشبيه الرابع التشبيه بالزيت

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ ، وقد تكون الآية الشريفة عموماً هي الوحيدة التي بها خمسة تشبيهات لهذا النور الإلهي .

وفي علم البلاغة: أن كل تشبيه هو جملة مستقلة بذاتها تفيد معنىً مستقلاً[1] ، فعندما يُقال: زيد كالأسد، فإن السامع يفهم منها أن زيداً شجاع، وليس به صفات الحيوان المتوحش فاغر الفم كريه الرائحة .

١ـ التشبيه: هو الأسلوب التعبيري القائم على استحضار عنصرين متشابهين في المعنى الأصلي والمعنى الإحالي (وهو المشبه والمشبه به) مع الاحتفاظ بالإثنينيّة بأنّ (هناك أصل وشبيه له) والاعتراف بها على المستوى السطحي الظاهري، والسنوي العميق. انظر: تكوين البلاغة (الشيخ علي الفَرَج) : ص٢٣٩ في (البُنى المجازية ـ مجاز المشابهة) بتصرف يسير.

وأما احتفاظ كل من المشبّه والمشبه به فخاصيته هي التي عبّر عنها الشيخ (حفظه الله) بقوله: (مستقل بذاته) ، فإن زيداً محتفظ بخاصيته وإنسانيته، وكذلك الأسد محتفظ بحيوانيته، وتبقى الشجاعة هي الفائدة المستوحاة من العبارة.

مرحلة النورية في الآية المباركة

جاءت الآية المباركة بصدد بيان خلقة النور، وأن أحد مراحله هذه الخلقة - خلق الموجودات - هي المرحلة النوريّة، وقد تطرق القرآن بشكل عام إلى عدّة مخلوقات منها: الجن، والأنس، والملائكة، والحيوانات... كما تعرض أيضاً لخلقة الروح بعناوين مختلفة [١].

١- لقد أشار الله تعالى إلى الروح في كتابه العزيز بعدة إشارات منها:

* قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ سورة الإسراء: ٨٥ .

* قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ سورة القدر: ٤ .

* قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ سورة : النحل ٢ .

* قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ سورة : النحل ١٠٢ .

* قوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ ، سورة غافر: الآية ١٥ .

* قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ سورة النبأ: ٣٨ .

* قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ سورة الشعراء: ١٩٣ .

أما هذه الآية فإن القرآن تعرض من خلالها إلى خلق النور، كما أن منطقه ظاهر في تعظيم هذا النور أكثر منه حين تعرض للروح بشكل عام، وليس بخصوص الروح البشرية أو الحيوانية، بل يشمل حتى الروح الملائكيّة، وروح القدس، والروح الأعظم، والروح الأمين.

إن هذه المخلوقات النورانية التي ذكرها القرآن بطبيعة الحال تتمايز وتختلف عن باقي الأجسام الأخرى من سائر المخلوقات المذكورة في طيّات الآيات المباركة، بل إنه يُسند إليها ـ أحياناً ـ خصائص أعظم وأجل فيجعلها في طليعة الخلقة ويقدمها عليها.

وقد خُص الروح الأمين بما ميزه عن باقي الملائكة . وذكر القرآن أيضاً الروح بخصائص عدّة، وميّزه عن باقي الملائكة، وذكر أنه وسيلة نزولها من المعارج إلى الأرض، وفي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أن الروح الذي ينزل في ليلة القدر هو «**خلق أعظم من الملائكة**» .

خصائص المخلوقات النورانية

تعرض القرآن للمخلوقات النورية النورانية في عدة جهات:

الأولى: عبّر عنه أنه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١]، فإذا كان هذا النور بالنسبة إلى السماوات ملكوتاً ـ والسماء هي غيبٌ بالنسبة لنا ـ فلا يظهر هذا الغيب إلاّ بالنور؛ لأن النور هنا شيء بمنزلة الروح لها، ولأنها من دونه ظلمانية.

الثانية: يتضمن القرآن هذه الأنوار ويحويها كاملة ـ وإن لم يذكر عددها ـ وقد أشار إلى ذلك بأداة الجمع (أو ضمير الجمع) في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[٢]، والأسماء جمعٌ، والضمير في

١ـ سورة الأنعام: ٧٥، والأعراف: ١٨٥.

٢ـ سورة البقرة: ٣١.

﴿عَرَضَهُمْ﴾ للجمع، وقد حدّدت الروايات الشريفة ـ ومنها حديث الكساء الشريف ـ ما لها من القدر العظيم والمنزلة الرفيعة، فقال الله تعالى ـ وهذا مقطع من حديث قدسي ـ: «هم فاطمة وأبوها، وبعلها وبنوها»[١]، فهذه الأسماء هي الأنوار الخمسة.

والتعبير بقوله تعالى: ﴿عَرَضَهُمْ﴾ هي لحقيقة هذه الأسماء، وإنما لم يُعبّر بـ (عرضها) لبيان أن هناك موجود حي عاقل تُمثّله هذه الأسماء الإلهية، ولذلك أعقبها بقوله تعالى في نفس الآية: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ولم يقل: (هذه)؛ لأن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ للإشارة إلى الجمع العاقلين، بينما (هذه) لغير العاقلين، مفرداً كان المشار إليه أم جمعاً.

١ـ عوالم العلوم (عوالم فاطمة عليها السلام) للشيخ عبد الله البحراني رحمه الله: ج١١ ص٦٤٠، منتخب الطريحي: ٣٥٩.

الاسم الإلهي والمسمى الإلهي

الاسم: هو السّمة والعلامة، وسمي الاسم اسماً: لأنه يميز الشيء بالسمة والعلامة عن باقي الأشباه[١]، فعندما نقول: (زيد) فإننا نرى أن (زيداً) هو اسمٌ وسمة لشخص معيّن يميّزه عن باقي أبناء جنسه من الناس، ولا تغاير بين الاسم (زيد) ويبين المسمى (ذات الشخص)؛ لأنه إنما يميّزه عن غيره من أبناء جنسه.

وفي الآية نجد أن الأسماء المشار إليها في الآية ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ هي أسماء إلهية تشير إلى موجودات ليست هي عن ذاته تعالى، وإنما هي غيرها، وهي مخلوقات للذات، وقد قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ فهنا

١ـ لسان العرب: ج١٤ ص ٤٠١ ـ ٤٠٢ باب (الواو والياء) فصل (س).

لا نقول: إنه عرض ذاته المقدسة على آدم عليه السلام ، وإنما نقول: عرض الأسماء التي خلقها والتي تعبّر عن ذاته وتمثّلها وهي منسوبة إليه .

وهنا نكتة أخرى في الجمع المذكور في الآية المباركة، فقد عبّرت بـ ﴿عَرَضَهُمْ﴾ وهي لجمع الكثرة ، ولا يمكن أن تمثل هذه المجموعة عين الذات المقدسة التي هي واحدة، أو أن تكون هي (الآلة)!! بل هي مألوهة مربوية تعكس قدرة الذات الإلهية .

وإما وجود الملائكة ـ بحسب روايات الفريقين ـ محتشدة في السماوات وما بينهما لا يعني أنها تعلم عن حقيقة وغيب الأسماء الإلهية وتلك الموجودات الشاعرة العاقلة شيئاً، وإنما هي غافلة عن ذلك كلّه؛ ولذا فإنها لم تكن تعلم بخلقه هذه الأنوار لولا أنه تعالى قد أنبأهم وقال:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١] ولم يكونوا يعلموا طبيعة هذا الخليفة .

١ـ سورة البقرة: ٣٠.

الملائكة والأسماء الإلهية

مع أن هذه الأسماء الغيبية هي موجودات عاقلة شاعرة موجودة في ملكوت السماوات وما بينها[١]، إلاّ أن هذه الملائكة المحتشدة فيما بينها ـ كما قلنا ـ لا تعلم عن حقيقة هذه الأسماء وغيبها شيئاً.

كما أن وجودها في غياهب السماوات وساحات الملكوت ـ والذي يعني غيابها فيه ـ يعني غياب هذه الأسماء (الموجودات العاقلة) عن محضر الملائكة ومشاهدتها، فلا تراها، ولا ترى ما في باطن السماوات أيضاً.

١ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خلق الله السماوات والأرض، وخلق فيها الملائكة، لا نجد موضع قدم إلاّ وفيه ملك في السماوات والأرضين» نهج البلاغة: وفي الرواية أن السماء أبطت وحق لها أن ......

والسؤال هنا: كيف تكون هذه الأسماء أنواراً (أو نوراً) ولا تراها الملائكة، وقد قدّمتم أن النور ما يظهر ويُظهر لغيره؟!

والجواب: أن هذا النور المخلوق هو نور السماوات والأرض، أي ملكوتها وغيبها، ولا اطلاع للملائكة على غيب السماوات والأرض وملكوتها؛ بل هي غيب الغيب فيها، ولهذا اعترضت الملائكة وعبّرت عن جهلها بحقيقة هذه الأنوار يقولها: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ**﴾[1].

فأتاها الجواب ليرفع عنها غفلتها فقال تعالى: ﴿**إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[2] فظهر للملائكة حقيقة غائبة عنهم توهي

١ـ سورة البقرة: ٣٠.

٢ـ سورة البقرة: ٣٠.

أن هناك غيب ملكوتي لا اطلاع لهم عليه. عندها قالت الملائكة في خضوع واعتراف: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[١]، فكانت تلك الحقائق النورانية التي لم تكن تعلم بها الملائكة هي مبدأ الصحوة والتعلم بالنسبة لهم[٢]،

١ـ سورة البقرة: ٣١.

٢ـ مع أن الملائكة نورانيون وليس لهم سوى قابلية الطاعة والانقياد، إذ بمقتضى ذلك يتصرفون ـ كما هو ظاهر الروايات والأخبار الشريفة وما نطق به القرآن ـ إلا أنهم عندما أخبرهم الله تعالى بأنه سيجعل له خليفة في الأرض، اعترضوا على ذلك لجهلهم بحقيقة ما يريده الله تعالى فقالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فقد ظنّوا أنهم أفضل من هذا المخلوق النوراني الجديد بالنسبة لهم، فأفهمهم الله تعالى أن الأمر ليس كما تظنون، فإني سأخلق آدم وذريته ومَنْ بهم تقوم الأرض.

وعن الإمام العسكري عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**وهل أمر الله الملائكة بالسجود لآدم إلا لِمَا كانوا قد وضعوه في نفوسهم أنه لا يصير في الدنيا خَلْقٌ بعدهم إلا وهم (يعنون أنفسهم) أفضل منه في الدين فضلاً، وأعلم بالله ونبيّه علماً، فأراد الله أن يُعرفهم أنهم أخطئوا في ظنونهم واعتقادهم،**

ولذا قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾.

وهؤلاء الملائكة الذين تعدّدت وظائفهم، إذ منهم من يقبض الأرواح، ومنهم من يقسّم الأرزاق، ومنهم من ينفخ في الصور... وغيرهم مما هو مذكور في آيات وروايات

فخلق آدم وعلّمه الأسماء كلّها، ثم عرضهم عليهم، فعجزوا عن معرفتها، فأمر آدم أن ينبئهم بها، وعرفهم فضله في العلم عليهم .

ثم أخرج من صلب آدم ذرّيته، منهم الأنبياء والرسل والخيار من عباد الله، أفضلهم محمّد، ثم آل محمّد، ومن الخيار الفاضلين منهم أصحاب محمد، وخيار أمة محمد، وعرف الملائكة بذلك أنهم أفضل من الملائكة، فلمّا عرف الله تعالى الملائكة فضل خيار أمة محمّد وشيعة علي وخلفاءه عليهم، واحتمالهم في جنب الله محبة ربهم ما لا تحتمله الملائكة، أبان (الله) بيني آدم الخيار المتقين بالفضل عليهم .

ثم قال الله (عز وجل) : فلذلك فاسجدوا لآدم لِمَا كان مشتملاً على أنوار هذه الخلائق الأفضلين» انظر: تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣٨٣، الاحتجاج: ج١ ص٦٢، بحار الأنوار: ج١ ص١٣٦ ح١.

عديدة، كل هذه الأنشطة سخّر الله بها الملائكة وطوعهم لآدم عليه السلام .

وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[1] ، والسجود هو الطاعة والانقياد، ولم يكن الله تعالى ليأمرهم بالسجود محاباةً ومجازاً، لكنه تمكين تكويني منه (عزّ وجلّ) بأن (سجدوا) لآدم عليه السلام .

ولو أخذنا بتفكيك مجمل للآية وجدناها تحتوي: (ال) + (كلهم) + (أجمع + و + ن) ، وكلها في مجموعها تساوي ستة تأكيدات على شمولية هذه الإطاعة والتصريح والتمكين لآدم عليه السلام ، وهذا كلّه لأولئك الأنوار التي: ﴿عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ .

١ـ سورة الحجر: ٢٩ ، سورة ص: ٧٢ .

معرفة الأنوار الإلهية

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم نراه ـ بحسب منظومته الإلهية ـ يرشدنا للتعرف إلى الأنوار الإلهية الخمسة النورانية، وأنها ملكوتية، ومن خلال آية النور وآية تعليم الملائكة الأسماء نصل إلى أن بداية المخلوقات هي هذه الأنوار الملكوتية النورانية التي سمّاها ﴿الْأَسْمَاءَ﴾ وهي ما عبّرنا عنها في البداية بـ(الأسماء الحسنى) وهي أسماء غزيرة المعاني كثيرة الأسرار والعظمة.

كما أن هذه المخلوقات النوريّة:

أولاً: هي أنوار تفوق أنوار الملائكة، وتفوق أنوار السماوات؛ لأنها أسبق منها[1].

١ـ في الخبر عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله : «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**» انظر: بحار الأنوار: ج١٥ ص٢٤ ح٤٣، ينابيع

ثانياً: أن الله (تبارك وتعالى) هو الذي سمّى هذه الأسماء بالأنوار، وأشار إلى أنها شاعرة عاقلة حين قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ الدالة على جمع الكثرة العاقلة، والكثرة هذه ممتنعة على الله (عزّ وجلّ)[١] .

المودة: ج١ ص١٥ باب (٢).

وفي رواية: «**أول ما خلق الله العقل**» . انظر: عوالي اللئالي: ج٤ ص٩٩ ح١٤١، تفسير الفخر الرازي: ج٢٩ ص٧٤ (سورة القمر آية ٧٤).

وهاتان الروايتان وغيرهما تدلان على شيء واحد وهو العقل الأول والنور الأول نور النبي ﷺ وهو نور آله عليهم السلام ، وهو النور الذي أضاء على السماوات وهو المحدق بالعرش كما في الزيارة الجامعة المباركة الكبيرة: «**خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين**» .

١ـ هناك أمر حيّر الحكماء والعرفاء وعلماء النفس الجديد وهو أن أهل البيت عليهم السلام يقولون: إن الأسماء الإلهية مخلوقة. وحينما يسمع الباحث المعاصر بهذا الكلام يتصور أن المعني بهذا هو الأسماء المتداولة المذكورة في آيات الكتاب العزيز، وهي ما تسمى (الأسماء الحسنى)

وعليه فإن الأسماء المخلوقة هذه هي أسماء إلهية، وقد كانت بدايتها متمثلة في خلقتها النورية، ثم حمّلها الله تعالى أول مخلوق ظهر بعد ظهور (أو خلق) النور، تمثّل في أبي البشر آدم عليه السلام فتشرّف بذلك النور (أو تلك الأنوار) ، وهو السبب الذي أخضع الله له الملائكة

المذكورة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ...﴾ (الحشر: ٢٣) مما يعني أنه تصور أن المخلوق هو المسمّى، وهذا غير صحيح؛ لأن الاسم غير المسمى، وإلاّ ترتب عليه أن العبادة ستكون للأسماء الظاهرية، وهو غير جائز، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من عبد الاسم دون المسمى بالأسماء أشرك وكفر وجحد ولم يعبد شيئاً**» . الكافي: ج١ ص٨٨ باب (المعبود) ح(٣) .

فإذا كانت العبادة للاسم (الله ـ الرحمن) فهي مُخرجة عن ربقة الإسلام مولجة في الكفر والإلحاد، وإذا كانت العبادة للاسم والمسمى معاً فهذا شرك، وأما لو كانت للمسمى فقط فهذا هو التوحيد ، وهو المطلوب للإمام عليه السلام.

فسجدت طوعاً له ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[١]، وأنقادوا وأطاعوا وتبعوا له، ولا يكون هذا كله إلاّ لمن هو مشرّف تكويناً، وهذه الشرافة التي حظي بها آدم عليه السلام كانت من تلك الأنوار الإلهية التي سمتها الروايات وقالت بأنها أنوار محمّد وآله (صلوات الله عليهم أجمعين)[٢].

١ـ سورة الحجر: ٣٠، سورة ص: ٧٣.

٢ـ تقدم في هامش ص ٢٧ عن النبي صلى الله عليه وآله: «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**»، وفي الزيارة: «**خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين**»، وستأتي في هامش ص ٤٩ رواية أخرى بالمعنى الذي يتحدث عنه الشيخ.

دفع شبهة

يقول البعض: لا تدعوا غير الله!! ويستشهدون بقول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[١]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[٢].

واللّحد أو الإلحاد في الأسماء الإلهية يعني الابتعاد عنها والدعاء بغيرها!! .

وفي الجواب نسأل: هل هذه الأسماء مخلوقة أم هي الخالق؟ بمعنى: هل أن هذه الأسماء هي عين المسمّى؟ لقد تقدم الحديث عن هذا الأمر، والقوم هؤلاء يقولون إن

١ـ سورة الإسراء: ١١٠.

٢ـ سورة الأعراف: ١٨٠.

الصفات والأسماء الفعلية ليست هي عين الذات، بل خارجة عنها، فحينئذٍ لابد أن يسلموا بأن الأسماء الإلهية هي كذلك.

والآية تقول: ﴿ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ فالمطلوب هو التوجّه إلى الأسماء بصفتها معبّرة عن المسمّى، فالتوجّه واقعاً هو للمسمّى ولكن بتوسط الاسم، وقد قال تعالى بأنه ﴿عَرَضَهُمْ﴾، وقال: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[1]، وهذا كلّه يدل ـ كما تقدم ـ على أنها مخلوقة.

وإذا لاحظنا رسول الله ﷺ بما هو (محمد بن عبد الله) ﷺ فهو نور، وأما إذا لحظناه كما هو آية لله تعالى فهو ليس (محمداً) وإنما هو (حميد) لله (عزّ وجلّ)، أي أنه هو آية الحمد الذي ينبئ عن عظمة وجلالة خالقه (تعالى).

١ـ سورة البقرة: ٣٣.

إذن، فالتوجّه يكون للمسمّى وهو الله (عزّ وجلّ) حين يدعو بها الداعي، وقد اتخذ الأسلوب الأنسب في التوجّه باختيار ألفاظ الدعاء من خلال الأسماء الحسنى، وهذا لا يعني ـ كما يدّعي هؤلاء الغافلون، الجاهلون بحقيقة ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ـ أن توجّه الداعي إلى ذات الأسماء الإلهية؛ بل إن المعنى هو جعل هذه الأسماء وسيط وواسطة بين الداعي بهذه الأسماء وبين المسمّى (عزّ وجلّ)، ولذا نحن نقول: «**يا حميد بحق محمد، ويا علي بحق علي، ويا فاطر بحق فاطمة، يا محسن بحق الحسن، ويا قديم الإحسان بحق الحسين**»، فهذه الأسماء هي واسطة بين الداعي وبين الله تعالى.

وإذا لاحظنا لفظ «الله» والتي هي من أسماء ذي العزّة والجلال فهل هو يمثّل عين الذات أو أنه يشير إليه تعالى؟

فعلى مُدّعاهم فهو عين الذات ـ جلّ الله عن هذا

الإدّعاء ـ مع أن هذا الاسم ـ وهو اللفظ الصوتي ـ إنما هو درجة ومرتبة ومنزلة مقدّسة من منازل مراتب هذه الأسماء الإلهية الحسنى.

الأنوار الإلهية الخمسة

ذكر السيد المرعشي النجفي (أعلى الله مقامه) في ذيل آية النور[١] المباركة: أن الأنوار فيها خمسة[٢]، وأنها هي أول الخليقة، ولها امتيازاتها وعظمتها، ولها أهمية وهيمنة ملكوتية وجبروتية بإيعاز وإذن من الله (عزّ وجلّ)، وإن هذه الأنوار خُلقت قبل أن تخلق لها الأرواح[٣].

١ـ سورة النور: ٣٥.

٢ـ شرح إحقاق الحق: ج٣ ص٤٥٩ الآية ٧٨ وأيضاً ج٣٣ ص٣٧، آية النور.

٣ـ اعلم أن الله سبحنه جعل محمداً وآله (صلى الله عليه وعليهم) أوعية رحمته في عالم الأسرار قبل خلق الخلق، فلايصل شيء من رحمته إلى أحد من خلقه باستحقاق واستيهال أو بتفضلٍ ابتدائيٍّ وبدعاء أحد من الخلق إلاّ من فاضل ما وصل إليهم بواسطتهم وتقديرهم عن الله تعالى وذلك في جميع مراتب الوجود من الذرة إلى الذرة (بداية الخلق إلى نهايته).

واعلم أن الله سبحانه لمّا خلق محمداً وآل محمد جعلهم خزائن رحمته

وهناك نقاط ينبغي الالتفات إليها في الآية[١]، فلو لاحظناها تقول: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ أي أن هذا النور من

ونعمته، بحيث لا يصل منه شيء من إيجاد أو رفاد أو سبب أو غير ذلك من جميع ما أوجده أو يوجده إلى أحد من جميع خلقه من الإنس والجن والملائكة وجميع الحيوانات والنباتات والجمادات والأحوال والصفات والدقائق والذرات والأطوار والخطرات والنّسب والإضافات وغير ذلك إلا بواسطة محمّد وأهل بيته (صلوات الله عليه وعليهم) وكذلك لا يصل إلى الله شيء من جميع الموجودات إلاّ بواسطتهم فهم الوسائط بين الله وبين خلقه في كل حال

ولقد جاء عن الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة: «**بِأَبي أَنْتُمْ وَأُمّي وَنَفْسي، بِمُوالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللهُ مَعالِمَ دِينِنا، وَأَصْلَحَ ما كانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيانا، وَبِمُوالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ، وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ، وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ، وَبِمُوالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ، وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْواجِبَةُ، وَالدَّرَجاتُ الرَّفيعَةُ، وَالْمَقامُ الْمحْمُودُ، وَالْمَكانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَالْجاهُ الْعَظيمُ، وَالشَّأْنُ الْكَبيرُ، وَالشَّفاعَةُ الْمَقْبُولَةُ**».

١ـ سورة النور: ٣٥.

المصباح، وهذا ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ وهنا إشارة إلى الأنوار الخمسة التي أشارت إليها وأن بين هذه الأنوار ارتباط وعلاقة واتحاد في جهة واحدة، حيث أن هذا النور الذي في الزجاجة يعني: الرابطة والارتباط الذي بين هذه الأنوار وهو ارتباط نوري أيضاً مشتق بعضه من بعض. ثم تقول الآية: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ تماسك متشابك متصل بعضه ببعض، وهو ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ وهذه الشجرة تستمد نورها من الزيت الذي قالت عنه الآية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾.

وفي الروايات عن أهل البيت عليهم السلام ما يشير إلى هذا الترابط وهذا الارتباط يفسّر الآية بأن (أول ما خلق الله نور النبي، ثم اشتق منه نور علي، ثم اشتق منه نور فاطمة، ثم

اشتق منه نور الحسنين)[١] .

١ـ في الرواية أن سلمان رضي الله عنه دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نظر إلي فقال: «هل عرفت نقبائي الإثني عشر الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟» فقلت: الله ورسوله أعلم . قال: «يا سلمان، خلقني الله من صفاء نوره ودعاني فأطعته، وخلق من نوري عليا ودعاه فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي فاطمَة ودعاها فأطاعته، وخلق من نوري ونور علي وفاطمة الحسن والحسين ودعاهما فأطاعاه، فسمانا الله بخمسة أسماء من أسمائه . فالله المحمود وأنا محمد، والله الأعلى وهذا علي، والله فاطر وهذه فاطمة، والله الحسن وهذا الحسن، والله ذو الإحسان وهذا الحسين . ثم خلق من نور الحسين تسعة أئمة ودعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماءً مبنيةً وأرضاً مدحيّة وهواءً وماءً وملكاً وبشراً، فَكُنّا بعلمه أنواراً نُسبّحهُ ونسمع له ونطيع» . المحتضر: ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ . مصباح الشريعة (المنسوب للإمام الصادق عليه السلام) : ص ٦٣ ـ ٦٤ . بحار الأنوار: ج٥٤ ص ١٦٨ ـ ١٦٩ ح ١١٠ عن كتاب المقتضب، ومثله في الاختصاص .

الأنوار الأربعة عشر

من كل ما تقدم نستطيع أن نستشفّ من بين ثنايا الآية الشريفة ومن خلال سبكها القرآني العظيم أن الأنوار الإلهية الخمسة هم بداية هذا التكوين النوري وأصل شرفه، ثم تتالت وتعاقبت الأنوار بعضها من بعض وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ ما يعني أنها أكثر من خمسة أنوار. وبالالتفات إلى حرف (على) نقف على أن الأنوار قائمة على الترتّب والتعاقب والتتالي، وهذا ما نستفيده من كلام العرب واستخدامهم لها في هذا المعنى.

وعلى هذا فإن الآية ستكون بمعنى: نور يتلو نوراً، أو لنقل: نور يتلوه نور. أما العدد وإن لم تُشر إليه الآية إلاّ أن آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ

﴿ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا﴾[1] تشير إلى أن الأنوار التي تشع بعد النور الأول في خلافة الأرض ﴿ٱثۡنَا عَشَرَ﴾ نوراً، وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام ، مضافاً إلى نور الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام ، فتصير الأنوار (أربعة عشر) نوراً .

فإن قيل: ما ربط الآية هذه بالعدد والأئمة؟!

قلنا: ليس المقصود بالشهور في الآية هذه الأبراج الاثني عشر، ولابد أن نأخذ باقي الآية ليستقيم المعنى، فقد قالت: ﴿يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ ، وليس خلق الشهور مرتبط بخلق الأرض والسماء ليكون خلقها مقدّمة لتكوين هذا العدد من الشهور!! وإنما بملاحظة تتمة الآية أيضاً وهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾ . فلا ربط لقوام الدين وقيامه بعدد الشهور، بأن تكون اثنا عشر أو أقل

١ـ سورة النور: ٣٦.

أو أكثر، ولا يقصد من ﴿ٱلْقَيِّمُ﴾ التقويم المتعارف للحساب عندنا، وإنما هو الاستقامة، ولا نكون الاستقامة إلا بمن خلقهم الله في بداية الخلق حين قال: ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ، وهذه العدّة والعدد هي التي قال عنها في آية النور: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ متعاقبة لصلاح واستقامة هذا الدين وهذه الأمة ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ .

وإذا ما نظرنا إلى قوله: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ ، فإن ﴿فِى بُيُوتٍ﴾ مرتبطة بما سبقها وليست مستقلّة، ومنه نستفيد أن ذلك النور الذي يسبح في ملكوت السماوات والأرض ليس فقط فيهما بل هو يسكن بيوتاً تكفّل بها الله (عزّ وجلّ) ، ونحن مأمورون بتعظيمها

وإكرامها وإعلاء مكانتها وطاعة الله (عزّ وجلّ) فيها، لما فيها من نور حي شاعر عاقل له ارتباط بأصل خلقة البشرية، وإكراماً لمن فيها وليس لها بما هي بيوت من طين وجدران وهياكل مرفوعة بأعمدة وحجر. وقد روى القوم من العامّة في هذا أن الآية ليست واردة في تفسير البيوت بالمساجد، بل إنها تشمل وتخص بيت علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

ففي رواية السيوطي أن أبا بكر سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذن، فالأمر بإكرام وإعظام هذه البيوت أمر إلهي وليس بشرياً، والأمر الإلهي في الآية في قوله تعالى ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾[1].

والإذن هنا بمعنى (الأمر)، فأمر الله تعالى تكويني

١ـ انظر: الدر المنثور: ج٥ ص ٥٠.

وليس فقط تشريعي، وأمره (عزّ وجلّ) يعني أن إرادته وتكوينه نافذتين بالغتين بأن يُعظم أهل هذه البيوت .

الرجال أصحاب هذه البيوت

بعد أن تحدّثت الآية عن رفع مقام تلك الأنوار والتعظيم لتلك البيوت، عطفت على أصحابها فقالت: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ والمقصود هو: أن البيوت التي ينبغي تعظيمها ليست هي الجدران والطين والحجر، بل التعظيم لمن فيها ومن فيها هم الأنوار التي تحدثنا عنهم وهم الرجال في هذه الآية. وفي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام حين أوضح لقتادة عندما أخذته هيبة محضر ومجلس الإمام عليه السلام تلا عليه الآية ثم قال: يا قتادة، أتظن أن تلك البيوت من حجر ومدر.

وكلمة ﴿رِجَالٌ﴾ نجد تفسيرها وإعرابها متمثل في ﴿بُيُوتٍ﴾ ، ومنها تخرج بالنتيجة الأولى التي ذكرناها وهي

أن التعظيم لأصحاب البيوت لا للبيوت (الجدران والطين والحجر) .

وبهذا يندفع تشويش المشككين الذين يفسّرون البيوت بالمساجد ويحرفون الآية عن معناها، فيأتون بشبهة: أنتم تعظمون ما لا يضر ولا ينفع، وهذا من العبادة، فلم تعبدون غير الله؟!

وهؤلاء إنما يطبلون على غير بصيرة، ويدقون على وتر (أنتم تعبدون)[1] لأنهم يجهلون حقيقة هذه المعاني القرآنية.

١ـ كنت واقفاً في البقيع وحولي بعض الأفارقة، فأتاني أحد مشايخ الوهابية هائجاً مغضباً وهو يقول: اعبد الله وحده لا شريك له ولا تعبد علياً وحسناً وحسيناً. فقلت له: لقد قالها قبلك إبليس حيث قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء: ٦١) لا أسجد لآدم، فأنت اتّبع سنة إبليس وأما أنا فاتبع سنة الملائكة، وذهبت عنه. ثم أتاني مطارداً فقلت له: اذهب واتل جيداً قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾

وليس تعظيم المساجد التي يعنون إلاّ من تعظيم الله الذي أمر بذلك، ومن هذا التعظيم للمساجد يأتي الكلام: كيف تعظمون الحجر والبناء والجدران التي لا تعقل؟!

فسيكون الجواب هو الجواب، أن الله تعالى أمر بتعظيمهما، وكذلك جوابنا هو الجواب، وكما أن تعظيم المساجد تعظيم لله تعالى، كذلك تعظيم هذه البيوت لتعظيم أهلها الذين أمر الله بتعظيمهم .

وفي قول الشاعر شاهد على هذا أيضاً:

وما حب الديار فتنَّ قلبي

ولكن حب من سكن الديارا

*****

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ...﴾ (ص: ٧١) فما كان منه إلاّ أن قال: هذه السورة انتم حرفتموها . هكذا كان جوابه . (من الشيخ حفظه الله) .

نظرة تفسيرية على آية

(التطهير)

آية الله المحقق الشيخ

محمد السند البحراني

آية التطهير



والصلاة والسلام على نبينا محمّد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين الطيبين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

لقد ذكر علماء الإمامية (قدس الله أرواحهم) نكات

---

١ ـ سورة الأحزاب: ٦٦.

والتفاتات عديدة في تفسير الآية المباركة، ولا نريد إعادة ما فصلوه هنا، وإنما هي نقاط جديدة زيادة على ما حققوه وأنجزوه، وفصّلوا في توضيحه، ونذكر بعض ما يدفع ما يورد من التفاتات، ونجيب على بعض تساؤلات البعض.

من تلك التساؤلات: الشبهة القديمة الحديثة التي تُطرح في مناقشة الاستدلال بهذه الآية المباركة على عصمة أهل البيت عليهم السلام ومفادها: إذا كان أهل البيت عليهم السلام ـ كما تزعمون ـ معصومون، مستدلين بهذه الآية، فبحسب ما ورد فيها من ذكر الرجس، فهذا يدل على وجوده فيهم ـ نعوذ بالله من هذا الكلام ـ وعليه فيذهب هذاالرجس ويزول بشكل تدريجي، ما يعني أن العصمة منتفيه!!

وسؤالنا قيل كل شيء وقيل دفع الشبهة هو: من أين أتت هذه الشبهة، ومن أين أتى هذا التساؤل؟

وفي مقام الجواب نقول: في الواقع هم ناظرون إلى

الفعل المضارع في الآية الشريفة، وعليه فكلامهم وإشكالهم يرِدُ على أمر لغوي، والفعل المضارع ـ في أي لغة كانت ـ يدل في الجملة الفعلية على الاستمرار والتدرج، ومن ثم استفادوا من الآية أن هناك رجس أزيل وأبعد بشكل تدريجي، وهو مستمر، وعلى هذا أتت الشبهة إلي أذهانهم وألزمونا بها .

ثم إننا نقول: إن هذه الآية المباركة لا تثبت ما زعموه وما استفادوه من أن أهل البيت عليهم السلام كسائر الناس، شأنهم شأن باقي المسلمين، يتكاملون بالتدريج والتدرّج، ومن ثم تعصمهم طاعتهم لله تعالى، بل إنهم عليهم السلام ـ كما ورد عنهم وهم الصادقون ـ معصومون منذ الولادة، ومنذ الصغر والتميز، وهم مصطفون منتجبون كما هو الحال في سائر الأنبياء عليهم السلام . ولذا فإن الشبهة المذكورة وأمثالها مما يطرحه الغافلون ـ وإن كانت ظريفة في ظاهر طرحها من

حيث أنها تثير غريزة البحث العلمي ـ تحتاج إلي إجابة، بل إجابات دقيقة متعددة، ومنها نظفر بكنوز وأسرار ومعاني وجواهر ثمينة تتألق وتشعّ ناصعة بأنوار أهل البيت عليهم السلام .

وإذا ما أراد الإنسان ـ كعربي أو غير عربي ـ أن يعبّر بكلمة (ليذهب الرجس عنكم) فما هو الفرق بينها وبين قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ ؟

الإذهاب في الآية

بملاحظة كلمة (ليذهب) فهي مقاربة لكلمة (ليذهبكم) من حيث الظاهر، ولكن الفرق فيما لو أردنا تقريب المطلب نلاحظ ما ورد في آية أخرى فيما جاء على لسان النبي يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ﴾[١].

فما هو الفرق بين ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ﴾ وبين (لنصرفه)؟ فلو كان التعبير بالثاني لكان معنى الآية ـ والعياذ بالله ـ أن النبي يوسف عليه السلام كان مقبلاً على فعل السوء، وطامعاً فيه ـ كما هو ظاهر الآية المتقدمة على هذه الآية وهي قوله تعالى:

---

١ ـ سورة يوسف: ٢٤.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾[١] إلا أن الله تعالى أراد منعه عن ذلك؛ حفاظاً على مقام النبوة، فيعبّر بقوله: (ليصرفه).

ثم إن لفظ ﴿لِيُذْهِبَ﴾ في اللغة -إذا ما نظرنا إلى مصدرها- مأخوذة من (الإذهاب)، وهي تصب في النتيجة التي نبحث فيها، فإن معنى (الإذهاب) هو الإبعاد، وهذا يعني أن هناك شيء مُقبل عليهم نحن سنقوم بإبعاده، وليس معناه هنا- كما يتصور كثيرون -الإزالة![٢] وهذا التغيير هو

---

١ - ويؤيده ما عليه تفاسير علماء الإمامية من أن (همت) من زُليخا بقصد السوء، و(همّ) منه عليه السلام بقصد البعد عنها، بحيث أراد قتلها وإبعادها عنه، كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام. - انظر: عيون أخبار الرضا: ج٢ ص١٧١ ح١. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**همت بأن تفعل، وهمّ بأن لا يفعل**» انظر: الاحتجاج: ج٢ ص١٢١.

٢- هذا هو رأي بعض أهل اللغة كما في لسان العرب: ج١ ص ٣٩٤ مادة (ذهب) . وتقدم الاستدلال على ما ذكره الشيخ بالآية (٢٤) من سورة

تفسير العامة، فإن الإذهاب في كثير من الأحيان يأتي بهذا المعنى الذي ذكرناه، وهو الإبعاد. ولكن لو تمعّنا قليلاً في الآيات مجموعة نرى أن السوء ابتدأ من امرأة الملك (زليخا) إذ لم يكن النبي يوسف (عليه السلام) مقبلاً عليها، بل كانت هي المقبلة عليه، ولذا عبّر بما يناسب المقام وما

يوسف، فإن الإذهاب هنا يعني: الصرف والإبعاد كما في الآية (لتصرف عنه السوء) وفسّرها الشيخ (حفظه الله) ـ كما هو مذكور في كتب علمائنا ـ بإبعاد السوء عنه ولا يقربه، فهاهنا أيضاً يأتي الكلام. أما ما يأتي بمعنى الإزالة فهو (ذهب به) مكان الأولى أن يقول (ليذهب بالرجس عنكم أهل البيت) وهو غير مستقيم مع ما تريده الآية المباركة من إثبات الطهارة الذاتية والعصمة لأهل بيت النبي (صلّى الله عليه وآله). وفي اللغة يقال: ذهب به: أي أزاله، وأهب به: أي أذهبه غيره. انظر: تاج العروس (للزبيدي): ج١ ص٥٠٥ مادة (ذهب). ثم إنا لو أخذنا (ليذهب عنكم الرجس) بهذا المعنى (وهو الإبعاد) أي أنه لا يقترب ولا يدنو، فهو أيضاً مستقيم؛ لأن معنى (الإبعاد) هو الطرد، ولا يكون الطرد إلاّ فيما لا يُراد له الاقتراب والدنو. انظر مادة (طرد) و(أبعد) في كتب اللغة.

يحافظ على كرامة نبيه عليه السلام فقال: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ﴾ حماية ووقاية له عليه السلام، ولا يجعل الله تعالى السوء يقبل على نبيّه ولا يصل إليه، وهذه دلالة على أنه عليه السلام طاهر في نفسه، مطهّر من ربّه، لا يهمُّ بالسوء.

والكلام هو الكلام هنا يجري في آية التطهير، فقوله تعالى: (ليذهب عنكم) هي بمعنى: ليمنع إقبال الرجس عنكم ويحميكم حماية يقيمكم بها، وهو خلاف ما لو عبّر بـ (ليذهبكم) إذ القرآن يفترض أن لو كان شيئاً من الخارج سيقبل عليهم فهو لن يقبل، وهذا كل يعني أن افتراض وجود الرجس يعني كونه خارجياً عنهم وأجنبياً عن ذاتهم.

ويؤيد هذا ما ورد في دعاء الصباح على لسان أمير المؤمنين عليه السلام: «صَلِّ اللّهُمَّ عَلَى الدَّليلِ إِلَيْكَ فِي اللَّيْلِ الأَلْيَلِ»[1]، ومعلوم أنه يعني بالدليل: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

١ـ بحار الأنوار: ج ٨٤ ص ٣٣٩ وأيضاً: ج ٩٤ ص ٢٤٣.

والأليل: تعبير عن الظلام الحالك شديد الظلمة[1]. ويعني به: ظلمة الجاهلية التي كانت متشبعة بالفحشاء والبغاء والمنكرات والنجاسات.

وقوله ﷺ: «وَالثّابِتِ الْقَدَمِ عَلى زَحاليفِها فِي الزَّمَنِ الأَوَّلِ» فالزحاليق مثل (مزلاقات شديدة)[2]، والزمن الأول: عبّر به ﷺ عن الزمن الذي عاش فيه النبي صلى الله عليه وآله في بيئة قريش قبل البعثة، فأيّما أحد عاش فيها قبل البعثة انزلق فيها وغاص في العصبية والفحشاء والعداوات والظلمات والآثار النفسية السيئة البغيضة، وقد قال تعالى:

---

١ ـ لسان العرب: ج١١ ص٦٠٨ مادة (ليل).

٢ ـ الزحاليف: جمع زحلفة، وهي بمعنى الزحلقة وهي المكان المنحدر الأملس، ويقال هنا أيضاً لآثار التزحلق على الرمل، انظر: الصحاح: ج٤ ص١٨٦٨، لسان العرب: ج٩ ص١٣١ مادة (زحلف).

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1] لينهى المرأة المسلمة أن تعيش عيشة تلك الحقبة المظلمة. ولكن بمجيء النبي صلى الله عليه وآله أضاء على تلك البيئة بنوره فترعرت فيها براعم نورانية استطاعت أن تعيش في كنف تلك الأجواء التي ما كانت لتضيء لولا نوره (صلى الله عليه وآله) .

فقوله عليه السلام: «وَالْماسِك مِنْ أَسْبَابكَ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الأَطْوَلِ، وَالنّاصِعِ الْحَسَبِ في ذِرْوَةَ الْكاهِلِ الأَعْبَلِ، وَالثّابِتِ الْقَدَمِ عَلى زَحاليفِها فِي الزَّمَنِ الأَوَّلِ، وَعَلى آلِهِ الأَخْيارِ الْمُصْطَفَيْنَ الأَبْرارِ» :

يريد عليه السلام بهذا التعبير أن يقول: إن الله سبحانه وتعالى لا يبعث نبياً دون أن يحميه ويعصمه، وهذا متحقق في النبي صلى الله عليه وآله وفي ال بيته عليهم السلام بما هم عليه من مسير على

---

١ ـ سورة الأحزاب: ٣٣.

آثار صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذا قال تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ .

الآية ناظرة العصمة

إن ما تصرح به الآية الشريفة هنا أن في البيت شيء وهو إقبال الرجس على أهل البيت عليهم السلام ـ كما قدّمنا ـ وليس إقبالهم عليه، ولذا فهي ناظرة إلى أن هؤلاء في طهارة ذاتية وهي العصمة لهم عليهم السلام .

وفي زيارة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام نقرأ: «لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجاهِلِيَّةُ بِأَنْجاسِها»[1] وهو عليه السلام واحد من أفراد هذا البيت، وما تطرحه هذه الزيارة الشريفة هو نفس مفاد وأطروحة الآية المباركة .

إذن هذه الطهارة الذاتية لهم عليهم السلام من التلوث بالبيئة والأجواء المحيطة هي العصمة ولا غيرها .

وما تطرحه الآية هو أكبر مما نأخذه بعين النظرة

---

١ ـ مصباح المتهجد: ص٥٠١ في زيارة الإمام عليه السلام يوم عرفة.

الأولية، بل هي ناظرة إلي أن الطهارة والعصمة لآل البيت عليهم السلام هي مؤمنة من قِبَلِ الله تعالى، فلا ينزلقون في أردان الجاهلية، بل وما بعدها، حتى لو كان ذلك على حساب مقاماتهم الدنيويّة الظاهرية[١]، مضافاً إلى أن أهل البيت

١ـ إشارة إلى ما جرى لأمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وما يدّعيه من تولّى ظاهر الأمور وأمسك بزمام الحكم من أن الفتوحات وإدارة الدولة كانت بقدراتهم وأوامرهم، وقد ذكر الشيخ (حفظه الله) أن في تاريخ الطبري وابن الأثير وابن أعتم وسيرة ابن إسحاق، وغيرها من المصادر القديمة التي عند العامّة، كلها كفيلة لإثبات أن إدارة الدولة كانت واقعاً بيد الإمام عليه السلام، إذ أن مجرد النسبة والتسمية لا تتم حقيقة لمن يدّعيها. ولكن أمير المؤمنين عليه السلام ترك ذلك لخلوص العمل وإخلاص النية؛ وفاءً واستمراراً لنهج رسول الله صلى الله عليه وآله وإن لم ينسب إليه التاريخ من ذلك شيئاً.

قال الشيخ (حفظه الله) : بقيت متحيراً مدّةً للبحث عن مدرك لهذا الأمر فوجدت رواية عند ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، وفيها وجدت محركاً للبحث في مصادر العامّة عن هذا الملف المعتمّ عليه، والمبعثر،

فوجدت أن الفتوحات الإستراتيجية هي من إنجازات الإمام عليه السلام وبتدبير منه ثم نجاحها.

وقد فصّل الشيخ (حفظه الله) في كتابه (عدالة الصحابة) وذكر هناك أيضاً أن الفتوحات التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وآله كانت بتخطيط منه وتنفيذ من الإمام عليه السلام، فقد كانت الإستراتيجية الأمنية والعسكرية من النبي صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام معه في التخطيط والتنفيذ. أما ما وقع فيها من أخطاء والتباسات ـ كما في أحد مثلاً ـ فليس الذنب والخطأ منهما (صلوات الله عليهما وآلهما) بل هو راجع إلي المرحلة الثانية والثالثة في التنفيذ، وهي من سائر من يشاركون في الحرب؛ لأنهم يتبعون آلية تنفيذ غير أخلاقية وغير لائقة للتخطيط الإلهي من رسول الله صلى الله عليه وآله ولا صله له بها.

ومثال ذلك: ماتبرأ منه صلى الله عليه وآله من فعل بعض الصحابة في فتح مكة حين قتل أحد أبناء قبائل أطراف مكة، فقال صلى الله عليه وآله: «**اللهم إني أبرأ إليك من فعل خالد**». صحيح البخاري: ج٤ ص٥٧٧ (المغازي)، مسند أحمد: ج٢ ص١٥٠، السيرة الحلبية: ج٣ ص٢١٣.

ثم إن هذا الأمر لا يقف عند أمير المؤمنين عليه السلام، بل يتعداه إلى الإمام الحسن والإمام الحسين وزين العابدين... إلى الإمام صاحب الزمان (صلوات الله عليهم)، فإن إنجازاتهم لهذا العالم ضخمة ومع ذلك لا

تنسب إليهم، بل إلى فلان وفلان من الناس، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة: ٣٠) .

وأول تعريف ذكره الله تعالى لهذا الخليفة أنه يقارع الشر وينشر العدل في الأرض؛ لأن الملائكة حين اعترضت بقولها: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ (سورة البقرة: ٣٠) ، كان اعتراضها على الفساد المستشري في صدر البشريّة، والله تعالى بين لهم وظيفة هذا الخليفة وهي الحيلولة دون انتشار الصلاح والإصلاح وكل ما منه وفيه نفع لهذه البشريّة، وهذا هو الدور الخفي الذي يقوم به الخليفة الإلهي (الإمام) .

ومن الأدلة على ذلك رواية العامّة أنفسهم: «**لا يزال الذين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**» . مسند أحمد: ج٥ ص٨٩ و٩٢، صحيح مسلم: ج٦ ص٤ في (الاستخلاف) بنفس المعنى، سنن أبي داود: ج٢ ص٣٠٩ .

وفي هذه الرواية داعم ومؤكد على أن الخلافة التي هي الإصلاح والإنجازات العظيمة ترجع إلى الأئمة عليهم السلام ، وهذا ما لم يتطرف إليه علماء الإمامية بشكل عميق وفي الواقع هذا البحث خطير فيه دلالات وإشارات ينبغي الوقوف عندها، وهناك لفظ آخر لهذه الرواية: «لا يزال

عليهم السلام عندهم الطهارة والعصمة الذاتية، فالآية فيها شيء أعظم من بيان أنهم طاهرون ومعصومون، وهو أن تلك النجاسات وذلك الرجس ليس فقط لا يصل إليهم، والبيئة

الناس» كما في مسند أحمد: ج٥ ص٩٨، وصحيح مسلم: ج٦ ص٣ (باب: الناس تبع لقريش) . وفي لفظ المستدرك ج٣ ص٦١٧، ٦١٨: «**لا يزال أمر الأمّة**» .

وهذا أعم من كونه أمراً مختصاً بالمسلمين أو المؤمنين، بل هو أمر يعم البشرية، فببركة هؤلاء الإثني عشر وتدبيرهم بنعم المجتمع بالأمن من الحوادث والكوارث إذا ما اتّبعوهم، والسبب في ذلك. إخلاص وعظمة هؤلاء الإثني عشر عليهم السلام ، وما يقدمونه للبشرية، وإن كان في الظاهر غيرهم هو من ينجز للعالم، حتى لو كانت هذه تنسب إلى من لا يستحقها، فإنهم عليهم السلام سيقومون بإنجازها وأداء وظيفتهم الإصلاحية والتطهيرية للبيئة والمجتمع ولن يستطيع أحد إخفاءه وتغييبه .

إذن فما هو تدبير أمير المؤمنين عليه السلام وما تدبير الحسن والحسين عليهما السلام ، وينتهي إلى الإمام الحجة عجل الله فرجه ، وهذا ما ظهر للعيان وما خفي من عظمتهم أكبر وأعظم.

لا تدنسهم بمدلهمات ثيابها وقذاراتها، بل إنهم عليهم السلام منبع الطهارة للبيئة، بل هم الطهارة عينها. ثم لو لاحظنا الآية المباركة نجدها في مقام بيان وعدٍ إلهي مظفّر، فبعد أن فرغت من أنهم معصومون وطاهرون، وأن الله تعالى وفاهم عن أن تُغالبهم البيئة وتُقاهرهم حيث يعيشون فيها فتلجئهم إلى أرجاسها، فإن وعده لهم بأنهم يطهّرون تلك البيئة بطهارتهم. مراحل الآية: الآية بها ثلاث مراحل:

الأولى: تتحدث عن عصمتهم الذاتية .

الثانية: تتحدث عن وقايتهم من أجواء البيئة التي يعيشون فيها، وأن لهم أثر كبير فيها .

الثالثة: تتحدث عن أنهم عليهم السلام مظهّرون ومازالوا كذلك.

ولو نظرنا إلى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ مجيئه، وبالتحديد: منذ بعثته فقد بدأ مع قومه الذين عرفوا طهارته، فأخذ يدعوهم إلى الطهارة، إلى أن جاء دور وصيه أمير

المؤمنين عليه السلام ومع الزهراء عليها السلام ، ثم الحسن والحسين وما في الأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم) ، فها هي الدنيا بين صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى أن يتمم الله به التطهير الأكمل والأتم على يديه .

ومع ملاحظة هذه المرحلة الأخيرة ما نستفيد أيضاً ـ مضافاً إلى عصمتهم وإعصامهم ـ أن الله تعالى أوكل لهم تطهير هذه الأرض، وهذه من ملاحم معاجزهم عليهم السلام ، وبراهين إمامتهم، وإن المتمعّن فيها يرى أن بهم يبدأ الصلاح وبهم يختم الإصلاح.

دور النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومسؤولية أهل البيت عليهم السلام

إذا أمعنّا النظر في الآية: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ . نجد هناك إشارة خفيّة إلى محور جديد وهو أن حكم البيئة المحيطة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبأهل بيته عليهم السلام تستند إلى استقامتهم ذاتهم، وبالأخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي خوطب بها لقائد وزعيم ونبي ورسول من عند الله تعالى، وكرئيس مدرسة إصلاح إلهي، فإذا ما صلحت تلك المدرسة بصلاح رئيسها ورأسها الأكبر، صلحت أمته ورعيته، أمّا الفساد الإداري والنواقص التي قد تكون في الأمة، فراجعٌ إلى أدوات التنفيذ غير المتمثّلة في شخصه صلى الله عليه وآله وسلم ولا في أهل بيته عليهم السلام ؛ لأنهم أدوات غير ممتثلة لأوامره وما يخططه كقائد.

ولذا ففي بعض آيات القرآن ما يوضح ذلك، ففي خطاب موجّه إليه صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ

﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾[١]، وليس الذنب هنا ذنب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ كيف يكون منه وقد شهد القرآن نفسه له صلى الله عليه وآله وسلم بخلاف هذا !!

قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[٢]، فإن سننه وهديه على استقامة دائمة .

وفيه قال تعالى أيضاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣] فأي سوء وأي ذنب ذلك الذي تشير إليه الآيات الأولى؟!

لابد أنه ذنب الرعية والأمة، تلك الأدوات التي قامت بالتنفيذ الخاطئ، فتحمل هو صلى الله عليه وآله وسلم خطأها، ولكن كيف ذلك؟!

ما هذا إلاّ لأنه هو الراعي والمسئول عن هذه الأمة وعن

١ـ سورة الفتح: ٢.

٢ـ سورة النجم: ٢ ـ ٣.

٣ـ سورة القلم: ٤.

صلاحها، وهو ما عبّر عنه ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[١]، وهناك دور آخر مركزي وهام في هذه المسئولية، فلو لاحظنا الآيات التي تخاطبه فسنجدها لا تخاطبه بما هو رسول الله ﷺ، بل بلحاظ الأمة والرعية، وإنما كان الخطاب موجّهاً إليه لأنه المسئول وليس لجهة تقصير في المسئولية، بل لأن أي تقصير وأي حادث سوف يسأل عنه هو.

ومثل هذا نراه في القرآن تكرر مرّات، ففي خطاب الله تعالى لعيسى بن مريم عليهما السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٢]، فالله تعالى في هذه الآية يخاطب عيسى عليه السلام، وفي خطابه له نوع من الشدّة، مع أنه

١ـ صحيح البخاري: ج١ ص٢١٥ كتاب الجمعة ـ باب الجمعة في القرى والمدن.

٢ـ سورة المائدة: ١١٦.

(سبحانه وتعالى) يعلم أن عيسى عليه السلام بريء مما يقوله النصارى؛ ولكن ليبين فداحة الخطب وعظمته، فجعل الخطاب والمحاسبة مع رأس الهرم وهو عيسى عليه السلام.

وهكذا الشهادة على الأمة، فقد أسندها الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1]، إن في منطق القرآن ومدرسته مسؤولية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل بيته عليهم السلام على هذه البيئة التي يعيشون فيها مع ملاحظة أنهم لا يتأثرون بما فيها، بل ما فيها هو المتأثر بهم إذا ما اتّبعوهم، عندها يعتبر القرآن طهارة هذه البيئة واحدة من درجات وأوصاف طهارة أهل البيت عليهم السلام ؛ لأنهم المسئولون عنهم .

وهناك درجة أخرى غير ما تقدم وهي ما جاء على

١ـ سورة التوبة: ١٠٥.

لسان الزيادة المباركة: «**لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها**»[١] .

ودرجة ثالثة وهي ما في آية التطهير، والتي هي تطهير لهذه البيئة: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ .

١ـ مصباح المتهجد: ٥٠١ في زيارة الإمام عليه السلام يوم عرفة.

السيدة مريم عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام

لو نظرنا إلى آيات الخطاب الموجهة إلى مريم عليها السلام فإنا نجدها مختصة بها غير موجهة إلى أهل زمانها وبيئتها، كقوله تعالى: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

فقوله: ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ دال على الحدوث في الماضي، وأنه وقف عند درجة معينة، وأما في خطاب آية التطهير لأهل البيت عليهم السلام فصيغة الفعل فيها صيغة الحدوث المضارعة والاستمرار والجريان، والترقي والتصاعد، كما أن في قوله تعالى: ﴿تَطۡهِيرٗا﴾ صيغة مبالغة في الاستمرار إلى يوم القيامة، وهذا من خصائص أهل البيت عليهم السلام دون

١ـ سورة آل عمران: ٤٢.

غيرهم.

أما الإخبار عن طهارة السيدة مريم عليها السلام فهو إخبار عن تطهير الله تعالى لها وحسب، ولم يشهد لها بتسرّي الطهارة منها إلى بيئتها، أي الدرجة الثالثة من الطهارة، والتي تتمثل في محاربة الفساد والاستمرار في ذلك إلى أن يمكن الله لهم الأرض ومن عليها .

أهل البيت وبيت النبي ﷺ

وهنا محور جديد نطرحه إلى جانب الحديث عن دور أهل البيت عليهم السلام في إصلاح البيئة وهدايتها، والطرح هو حول التعبير في الآية المباركة بكلمة ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ وهو تعبير يختلف عنه لو قال: (أهل بيت النبي) فعندما يكون الحديث عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام فالضمير (الهاء) في الآية يرجع إلى النبي ﷺ ، ولكن تعبير الآية مختلف، إذ أن (آل) فيها ليست كالضمير. وتستخدم (ال) في اللغة بدل الضمير المحذوف، وهنا ليس المراد منها رجوع الضمير إلى النبي ﷺ ؛ لأنه ـ بضرورة إجماع المسلمين ـ هو أحد أقطاب (أهل البيت) المذكورة في الآية .

والسؤال هنا: هل المراد من ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أهل بيت النبي ﷺ ؟

ثم كيف يشمل الخطاب أهل بيته ويشمله معهم إذا كان منهم؟

وما المراد من البيت في الآية؟

يوضح لنا الإمام أبو محمد الحسن المجتبى عليه السلام أن البيت هو مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والضمير راجع إليه، أي أن (ال) ترجع وتفسر وتوضح أن البيت هو هذا البيت الخاص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، وهو المسجد النبوي الذي لا يحق لأحد دخوله ـ فيما لو كان جنباً ـ إلاّ هو صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [١].

١ـ أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بسد الأبواب المطلّة على المسجد إلاّ باب علي عليه السلام، وقد اعترض على ذلك الصحابة، حتى بعض بني هاشم، إلاّ أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يجاملهم في ذلك، بل أخبرهم أن هذا خارج عن أمره وإنما هو أمر من السماء. المستدر: ج١٢٥/٣، الطبقات الكبرى: ٢٢٨/٢، تاريخ ابن عساكر: ٤٣٥/٤٢ .

أما الحديث عن أن الضمير قد حذف وحل محلّه (ال) وأنه يعود إلى النبي ﷺ فهذا يعني أنه هو المنسوب إلى نفسه، وهذه ركاكة يُنزّه عنها القرآن الكريم .

أما دخوله ﷺ في أهل البيت، فلا إشكال فيه على التفسير المتقدم، فهو أحد أفراده الذين يسكنون ويقطنون هذا البيت الخاص، ولا معنى للاعتراض المتقدم بأنه: كيف يشمله الخطاب إذا كان منهم!

وإذا ما عدنا للبحث عن أهل بيت النبي ﷺ فلا حاجة

وفي اختصاص الإمام علي عليه السلام بدخول المسجد دون غيره ـ من بابه الذي استثناه الله تعالى دلالة على دخوله في أهل البيت الذين تخاطبهم الآية، هذا على حسب هذا التفسير الذي ذكره سماحة الشيخ حفظه الله، كما أن هناك نكتة يُراد من الصحابة الالتفات إليها وهي أن الطريق إلى الله والجادة الصحيحة الموصلة إليه لا تأتي إلا من خلال باب علي عليه السلام وهذا الباب هو التولي والتمسك به إماماً وهادياً بعد رسول الله ﷺ .

للعناء والتأويل، فإن علماء العامّة يعرفـون أن الآيـة موجّهـة خطابها للنبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) .

من هُم آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟

كما ذكرنا أن آل النبي (صلوات الله عليهم) هم الذين لهم حق الدخول والخروج بكامل الحرية والاختيار في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ذلك البيت الذي منع عنه كل المسلمين سوى علي عليه السلام وزوجته وابناه عليهم السلام .

وفي مدرستنا نحن الشيعة (مدرسة أهل البيت عليهم السلام) مسلّم أن آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أو أهل بيته هم ذريته وذووه، وهذا يعني أنهم هم أهل البيت وهذا المسجد، وهذه قرينة سهلة جداً ومتفق عليها، ولكن ـ مع الأسف ـ غير مُفعَّلة، وغير مستثمرة .

وقد اتفق المسلمون على أن حديث الكساء ـ المروي عن أم سلمة رضي الله عنها المتواتر والمستفيض عندهم[١] ـ وآية

ـــــــــــ

١ـ المصنف (ابن أبي شيبة): ج٧ ص٥٠١ (فضائل علي عليه السلام) ح٣٩،

المباهلة[1]، خاصَّين مختصين بالنبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم)[2].

وقد يطول الحديث بتكرار الكلام عن أهل البيت عليهم السلام

صحيح مسلم: ج٧ ص١٣٠ (باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله)، السنن الكبرى: ج٢ ص١٤٩ (باب بيان أهل بيته الذين هم آله)، المستدرك: ج٣ ص١٤٦ (مناقب أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله) ... وغيرها كثير.

١ـ سورة آل عمران: ٦١.

٢ـ رواها مسلم في صحيحه، والزمخشري في تفسيره، والفخر الرازي، وابن حجر العسقلاني، والبيضاوي، وابن المغازي في المناقب، وأبو نعيم الأصفهاني، والسيوطي، والحمويني، وسبط ابن الجوزي، والقندوزي الحنفي، والموقف الخوارزمي، والسمهودي، كلهم قالوا باختصاص الآية بالخمسة أصحاب الكساء دون غيرهم. وقد أقرّ باختصاص الخطاب بهم دون غيرهم في الآية شيخهم ابن تيمية في قوله: (فهؤلاء أحق بأن يكونوا أهل بيته؛ لأن صلة النسب أقوى من صلة الصهر، والعرب تطلق على هذا الاختصاص بالكمال، لا للاختصاص بأهل الحكم) انظر: رسالة في أهل البيت وحقوقهم ص١٩ ـ طبع دار الثقلين للثقافة الإسلامية ـ السعودية، وله اسم آخر هو (حقوق آل البيت بين السنة والبدعة).

، كما أن كثير من العلماء والكتاب قد بحث هذا وأطال فيه، ونحن هنا فقط نشير إلى أن جوهر حديث الكساء المتواتر والمستفيض لدى العامّة قبل الخاصة قد تكرر في عدة مواطن عظيمة ومهمة، ومنها:

بيت فاطمة عليها السلام ، وبيت أم سلمة رضي الله عنها، ويوم المباهلة... وغيرها .

وكذلك آية التطهير، فإن صدورها قد تكرر بتكرر حديث الكساء باعتراف العامّة أنفسهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يأتي باب بيت فاطمة عند كل صلاة ولمدة ستة أشهر[١] ،

١ـ رواية ستة أشهر: مسند ابن حنبل: ٣/٢٥٩ ـ ٢٨٥ (مسند أنس)، سنن الترمذي: ٥/٣١ رقم (٣٣٥٩) المستدرك: ٣/١٥٨ وغيرها. رواية تسعة أشهر: ذخائر العقبى: ٢٥ (ذكر أنه صلى الله عليه وآله كان يمر بباب فاطمة ويتلو الآية)، تاريخ ابن عساكر: ٤٢/١٣٧ رقم ٨٥٢٠ شواهد التنزيل: ٢/٨١ رواية سبعة أشهر: تاريخ ابن عساكر: ٤٢/١٣٧ رقم ٨٥١٩، رواية تسعة عشر شهراً، شواهد التنزيل: ٢/٧٨، رواية: ثمانية (أو عشرة) أشهر:

وكان يسلّم على من في البيت، ثم يقرأ الآية، وما ذلك منه إلا ليُعْلِمَ الأمة ويُعَلِّمَها ويركّز في أذهان المسلمين أن أصحاب هذا البيت هم آلي وأهل بيتي.

كما أن بعض صور هذا الحديث تشير إلى خطاب قدسي، وحديث إلهي قد تخلل هذه الواقعة الشريفة، فقد قال تعالى في سماء قدسه وعلو عرشه مخاطباً ملائكته ومن في السماوات: «يا ملائكتي، ويا سكان سماواتي، إني ما خلقت سماءً مبنية، ولا أرضاً مدحيّة، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فَلَكاً يدور، وبحراً يجري، ولا فُلْكاً يسري، إلاّ لمحبة هؤلاء الخمسة، فقال جبرئيل: يا رب ومن تحت الكساء؟ فقال الله (عزّ وجلّ): هم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، هم فاطمة وأبوها، وبعلها وبنوها... إلخ»[1].

شواهد التنزيل: ٢/٨٠ ـ ٨١

١ـ لا بأس هنا بأن نشير إلى سند هذه الرواية الشريفة التي ذكر البعض أنه

لم يجد لها سنداً صحيحاً أو أنها رواية غير مسندة؛ ولعل هذا يعود لقلة في المطالعة والتحقيق، أو لعله لعذر آخر لا نعلمه، الله تعالى يعلمه، فقد رواه المحدث والخبير الشيخ عبد الله البحراني رحمه الله بسند صحيح في كتاب العوالم ج١٢١ (عوالم فاطمة) ص٦٣٨ ، قال: رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم البحراني، عن شيخه الجليل السيد ماجد البحراني، عن شيخه الجليل السيد ماجد البحراني، عن الشيخ حسن بن زين الدين (الشهيد الثاني)، عن شيخه المقدس الأردبيلي، عن شيخه علي بن عبد العالي الكركي، عن الشيخ علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ أحمد بن فهد الحلي، عن الشيخ علي بن الخازن الجزائري، عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الأول، عن أبيه إمام المحققين الشهيد، عن فخر المحققين، عن شيخه ووالده العلامة الحلي، عن شيخه المحقق ابن نما الحلي، عن شيخه محمد بن إدريس الحلي، عن صاحب (الاحتجاج) ، عن شيخه الجليل الحسن بن محمد بن محمد الطوسي، عن أبي شيخ الطائفة الحقّة، عن شيخه المفيد، عن شيخه ابن قولويه القمي، عن شيخه الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن القاسم بن الجلاء الكوفي، عن أبي بصير، عن أبان بن تغلب، عن جابر ابن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رحمة الله عليهم أجمعين) أنه قال: سمعت فاطمة الزهراء

(عليها سلام الله) بنت رسول الله ﷺ قالت: ... وساق الحديث الشريف بكامله .

ونقل المرجع الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي رحمه الله في كتابه فقه الزهراء ص ٩ أن لديه رسالة بخط والده السيد مهدي الشيرازي رحمه الله نزيل كربلاء والمرجع في زمانه وصورته: السيد مهدي، عن الشيخ عباس القمي، عن الميرزا حسين النوري، عن الشيخ مرتضى الأنصاري، عن المولى أحمد النراقي، عن السيد بحر العلوم، عن الوحيد البهبهاني، عن أبيه الشيخ محمد أكمل، عن المولى محمد باقر المجلسي، عن أبيه محمد تقي المجلسي، عن الشيخ البهائي، عن أبيه الشيخ حسين بن عبد الصمد، عن الشهيد الثاني، عن أحمد بن محمد بن خاتون، عن الشيخ عبد العال الكركي... إلى آخر السند المتقدم.

وذكر الشيخ فرج العمران القطيفي رحمه الله في كتابه الأزهار الأرجية ج٣ ص٢٤٥ ما صورته: يسرني جدا أن أتصل بهذا السند وأن أنتظم في سلك سلسلته الذهبية بتوسط إجازتي عن مشايخي الكرام تبركا وتيمنا فأقول: حدثني ـ إجازة ـ آية الله السيد محسن الطباطبأي الحكيم (مد ظله العالي) ، عن شيخه وأستاذه آية الله الحكيم الفيلسوف المتكلم الفقيه الأصولي الثبت الميرزا محمد الحسين النائني المتوفي ١٣٥٥/٥/٢٦ هـ ، عن شيخه

ومع الأسف أن البعض ممن لا يكلف نفسه عناء الاستقصاء والبحث يتبجّح بكلمات لا فائدة منها ولا خير

ثقة الإسلام الميرزا حسين النوري المتوفى سنة ١٣٢٠/٦/٢٧ هـ ، عن شيخه سلطان أهل التحقيق الشيخ مرتضى الأنصاري المتوفي سنة ١٢٨١هـ ، عن الفقيه المعتمد صاحب المستند الشيخ أحمد النراقي المتوفى ١٣ـ ٤ـ ١٢٤٥ هـ ، عن والده المبرّز في علم الأخلاق الشيخ مهدي النراقي الغفاري المتوفى سنة ١٢٠٩ هـ ، عن شيخه المحقق المنصف الشيخ يوسف صاحب الحدائق المتوفى سنة ١١٨٦ هـ ، عن شيخه الشيخ حسين ابن الشيخ محمد بن الشيخ جعفر الماحوزي ، عن شيخه الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الله البحراني، عن السيد هاشم البحراني... إلى آخر ما في سند العوالم .

كما أن العالم الفاضل والمتتبع المدقق آية الله السيد العباس الحسيني الكاشاني (أدام الله له العافية وأطال في عمره) ذكر في كتابه مصابح الجنان ص ٨٢٦ ما صورته: ونحن نروي هذا الحديث الشريف بشتى الطرق من أرباب الحديث ومشايخ الرواية وقد ذكرنا طرقنا العديدة في كتابنا المسلسلات .

فلاحظ عزيزي القارئ هذه الأسانيد وسلاسلها الذهبية المباركة.

فيها، إلاّ أنها مشحونة بالتشكيك والتضعيف وحسب، ولو أن هذا البعض أجهد نفسه عناء البحث عن ألفاظ هذا الحديث الشريف ومضامينه، لوجدها متناثرة بين أسطر كثير من روايات العامّة والخاصّة، كما أن العامّة قد أكّدوا صدور هذا الحديث عن رسول الله ﷺ وفي عدّة مواطن، فها هو الحاكم يوثق صدور الحديث ويقول: صحيح على شرط البخاري [١].

وإن الكلمات التي تاب الله تعالى بها على آدم عليه السلام هي أسماء أهل هذا الكساء، قال: «يا ربي، أسألك بحق محمد لما غفرت لي. فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه، فقال: يا ربي، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: (لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله) فعلمت أنك لم

١ـ المستدرك: ج٣ ص١٤٦ (كتاب معرفة الصحابة).

تُضف إلى اسمك إلاّ أحب الخلق إليك، فقال: صدقت يا آدم، إنّه لأحب الخلق إليّ، ادعني بحقّه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك» [١].

وفي خطاب لعيسى بن مريم عليهما السلام: «يا عيسى، آمن بمحمد، وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنّة ولا النار... الحديث» [٢].

المراد من هذا أن حديث الكساء الشريف الذي يتضمن ألفاظاً قدسية عن الباري تعالى، متناثر الألفاظ والمضامين في عدّة روايات، وفي صور عديدة في أحاديث رواها الفريقان.

١ـ المستدرك: ج٢ ص٦١٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

٢ـ المصدر نفسه.

نساء النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام

من اللطيف ذكره أن العامّة أنفسهم لم ينقلوا ولو حديثاً واحداً ضعيفاً عن النبي ﷺ تقيد بأن آية التطهير شاملة لنسائه ﷺ .

نعم هناك غوغاء وصراخ وتهريج صدر من عكرمة[١]

---

١ ـ عكرمة البربري (لعنه الله) مولى عبد الله بن عباس، أصله من البربر، كان لحصين بن أبي الحر العنبري فوهبه لابن عباس لمّا ولي البصرة، كان من المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام ، روى عنه أصحاب الصحاح الستة عن عائشة وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري ومعاوية بن أبي سفيان وصفوان بن أمية .

وثّقه ابن حنبل والنسائي والشعبي وابن معين وأبو حاتم وأيوب السختياني، مات سنة ١٠٥ هـ، تبنّى آراء وأفكار نجدة الحروري أحد كبار الخوارج، بل كان يرى رأى الأباضية وهم غلاة الخوارج، وكان علي ابن عبد الله بن عباس قد أوثقه وثاقاً لأنه كان يكذب على أبيه، وفي رواية أنه يكذب أيضاً علي ابن مسعود .

وكذّبه ابن المُسيّب وابن عمر ويحيى بن سعيد، وذُكر عند أيوب أنه لا يحسن الصلاة فقال: أيوب أو كان يصلي؟

وعن مُطرف كان مالك يكره أن يذكره. وقال محمد بن سيرين: كذّاب.

وقال ابن أبي ذُؤيب: غير ثقة.

وقال الشافعي: قال مالك: لا أرى لأحد أن يقبل حديثه. إلى غير ذلك مما ذكروه في ترجمته.

انظر: الطبقات الكبرى: ج٥، تاريخ مدينة دمشق: ج٤١، سير أعلام النبلاء: ج٥، ميزان الاعتدال: ج٣، وفيات الأعيان: ج١ في ترجمته، وقد ذكرها السيد شرف الدين رحمه الله في الفصول المهمة: ص ٢٠٩ وما بعدها، والشيخ المظفر رحمه الله في دلائل الصدق: ج١ ص ٤٨ وما بعدها.

وذُكر أنه كان من أشهر الزنادقة الذين وضعوا الأحاديث للطعن في الإسلام! انظر: الطبقات الكبرى: ج٥ ص ٢٨٧، الضعفاء الكبير: ج٣ ص ٣٧٣، تهذيب الكمال: ج٢٠ ص ٢٦٤، وفيات الأعيان: ج١ ص ٣١٩، ميزان الاعتدال: ج٣ ص ٩٣، المغني في الضعفاء: ج٢ ص ٨٤، سير أعلام النبلاء: ج٥ ص ٢٩.

وكذلك مقاتل[١] في محاولة إثبات ذلك، وقد روي أن عكرمة هذا أنه كان يجوب الأسواق وينادي في أن الآية نزلت في نساء النبي ﷺ، وليس كما يتناقله الناس من أنها في أصحاب الكساء الخمسة،[٢] بل وكان يُخطّئ الناس

---

١ ـ مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي الخراساني (لعنه الله) ،صاحب التفسير المعروف، كان من الخوارج، وكان كذّاباً جسوراً يأخذ من اليهود والنصارى علم القرآن بما يوافق ما في كتبهم وعقيدتهم، ولم يكن في الحديث بشيء . انظر: معرفة الثقات (العجلي) : ج٢ ص ٢٩٥ رقم (١٧٨١) ، الضعفاء (العقيلي) : ج٤ برقم (١٨٣٣) ، وفيات الأعيان: ج١ ، وأيضاً ج٥ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٧ ، ميزان الاعتدال: ج٣ ، تاريخ بغداد: ج١٣ برقم (٧١٤٣) في ترجمته .

ونقل العلاّمة الأميني رحمه الله عن كتب العامّة من كذب مقاتل ووقاحته أن قال للمنصور الدوانيقي (لعنه الله): انظر ما تحب أن أحدّثه فيك حتى أحدّثه!! وقال للمهدي العباسي (لعنه الله): إن شئتَ أن أضع لك أحاديث في العباس!! قال: لا حاجة لي فيها . الغدير: ج٥ ص ٢٦٦.

٢ـ انظر: تفسير جامع البيان: ج٢٢ ص ٧، تفسير ابن كثير: ج٣ ص ٤١٥ ،

باعتقادهم باختصاص الآية المباركة بأهل بأصحاب الكساء عليهم السلام ، وكان يقول: (من شاء باهلتُه أنها نزلت في نساء النبي خاصة)[١] .

حتى لو تتبعنا مفسّري العامّة فإنهم متذبذبون في بيان المراد بالآية والمخاطب بها، ولم يقفوا على رأي واحد، ولا حاجة لذكر أقوالهم هنا؛ تلافياً للخروج عن أصل البحث .

ولو أخذنا جدلاً أنهن داخلات في شمول الخطاب

أسباب النزول: ص ٢٦٨.

١ـ الدر المنثور: ج٥ ص ١٩٨ ، تفسير ابن كثير: ج٣ ص ٤١٥ . وفي فعل عكرمة هذا وما كان يقوله ـ من تخطيء الناس فيماهم معتقدون به ـ أن المشهور والمرتكز في الأذهان أن نزولها في الخمسة عليهم السلام واختصاصهم بها كما يبدو منه في صريح عبارته، وأن الناس تعرف أنها آية خاصة بهم عليهم السلام وليس في ذلك من شك عندهم، ولكن عكرمة أبى على نفسه إلاّ مخالفة ما وصل الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته عليهم السلام.

لهن، فإن الزوجة قد تكون دهراً مع زوجها ثـم يطلقهـا فـلا تكون من أهل بيته، وفي ذلك رواية زيـد ابـن أرقـم حـين سـئل عـن ذلـك فقـال: (لا وأيـم الله، إن المـرأة تكـون مـع الرجـل العـصر مـن الـدهر، ثـم يطلقهـا فترجـع إلـى أبيهـا وقومها)[١].

ثم لابد أن نلاحظ أن لفظ ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ هـو اصـطلاح سماوي وحياتي، نزل بـه الـوحي فـي خـصوص أهـل هـذا المسجد الذين ذكرناهم.

ولو دققنا فيما سبق من الآيات قبل هذه الآية، فإننا نراها نتحدث بلغة النهي والزجر ﴿يا نساء النبي مـن يـأت مـنكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾[٢].

وقـد قـدّمنا وقلنـا: إن أهـل البيـت الـذين توجّـه إلـيهم

١ـ صحيح مسلم: ج٧ ص١٢٢، ١٢٣ (فضائل علي عليه السلام).

٢ـ سورة الأحزاب: ٣٠.

الخطاب لا يُقبل إليهم الرجس ولا الفحشاء، ولا هم يُقبلون عليه، لذا فالأمر سالب بانتفاء الموضوع ـ كما يقال في المنطق ـ.

هذا مضافاً إلى أن الآية تقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ومعلوم أن بعض نساء النبي ﷺ لم تلتزم بالخطاب الإلهي فخرجت من بيتها وخالفت[1].

كما أن الخطاب فيه شرط ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ

١ـ روى الحسكاني عن العوّام بن حوشب قال: حدثني ابن عم لي من عدي بن تم الله يُقال له (مَجْمَعْ) قال: دخلت مع أمي على عائشة، فسألتها أمي فقالت: أرأيتِ خروجك يوم الجمل!! قالت: إنّه كان قَدَراً من الله! انظر: شواهد التنزيل: ج٢ ص٦٢ ح٦٨٤، ورواه أبو يعلى في مسنده: ج٨ ص٢٧٠ ح٤٨٥٧، ورواه بتفاوت في الألفاظ: ابن كثير في تفسيره: ج٣ ص٣٩٣ في تفسير آية التطهير، وقال: أخرجه الحافظ البزّار والترمذي. وأما أمر خروجها وحربها ضد أمير المؤمنين عليه السلام فقد ذكرته مصادر القوم وذكروا قصتها والجمل، وكلاب الحوئب.

اتَّقَيْتُنَّ﴾ وهذه تبين أن من النساء من قد تقبل على المخالفة (وهي معصية الله ورسوله)، وعليه فالمخاطب في قوله: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ موجّه إلى من لا يُقبلون على المخالفة والمعصية (الرجس)، بل ولا يسمح الله تعالى أن يقبل عليهم الرجس، بل وعد الله تعالى بأن يطهرهم ومَنْ حولهم، فكيف يكون المخاطب مَنْ يعص، أو مَنْ له قابلية المعصية والمخالفة لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ.

الضمير (هُمْ) و (كُنَّ) في الآية

معلوم لدى علماء المسلمين كافّة أن الخطاب ﴿ليذهب عنكم﴾ راجع للنبي ﷺ وأهل بيته، وخطاب ﴿يأتي منكنّ﴾ موجّه لنسائه .

لكن الكلام في الضمير (كم) في (عنكم): هل هو شامل للضمير (كُنَّ) أم لا؟! بمعنى: هل أن المخاطب في (عنكم) هو نفسه المخاطب في (منكنّ) بحيث يشمله الخطاب؟!

والجواب: بالطبع لا، وقد يكون هناك استفهام: لماذا لا يكون ذلك؟ فنقول: لو كنّا ومفاد هذه الآية، وظاهر دلالتها، ومع ملاحظة أدب ألفاظ القرآن النازلة باللغة العربية من حيث المعنى، هي لغة بشرية، فلو تُرجمت إلى لغات غير العربية فإنها تبقى ألفاظاً، ولكن ستذهب منها

طراوة وحلاوة اللغة الأولى (الأصل) ، وإن كانت قوالب المعنى هيَ هي من حيث الدلالة، والمخاطب فيها واحد، ولذا فإن الضمير لا محالة بعيد عن الوصول إلى ملتقى واحد، ونقطة واحدة، فالآية ناظرة من خلال الضمير (كم) إلى أفرد مختلفين عن أفراد الضمير (كُنَّ) ، فإن الأخير حيث يشمل المؤنث .

وقد تقدم أن بعض نساء النبي ﷺ خالفته وعصت أمره، فإن الضمير الأول سينحصر فيمن لا يُقبلون على الرجس ولا يقبل عليهم لما فطرهم الله تعالى عليه، وعصمهم به . وهؤلاء بطهارتهم يقوم العدل، وينتشر العفاف، ويزول البغي والظلم... وغير ذلك، وذلك حين يمكن لهم الله تعالى ما في الأرض جميعاً، وهو نتيجةً للطهارة والتطهير .

كيف يمكن الله لهم في الأرض لو نظرنا إلى قوله

تعالى: ﴿مَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ...﴾[١] والقرية هنا مأخوذة بمعنى التمدّن، وهو الإيمان وليس العمران، فهذه شهادة على أن أهل البيت عليهم السلام إضافة إلى تطهيرهم البيئة والمجتمع، فإنهم يُعْطَوْنَ سلطة تدبير هذه البيئة.

وفي قوله تعالى: ﴿مَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ فإن الفيء هو ثروات الأرض وإرادتها وتدبيرها، فالله تعالى هو المدبّر والمهيمن أولاً، ثم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثانياً، وله الخلافة فيها، ثم لأهل بيته بعده، وذلك بالنظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٢] في الحديث عن الفيء، فإن (اللاّم) لام سلطة وتدبير، ولذا فإن السلطة لهم عليهم السلام ، وهم قادة هذه الأمة ومدبّروا أمورها .

١ـ سورة الحشر: ٧.

٢ـ سورة الحشر: ٧.

وبعكس هذا ما لو أخذناها في اليتامى في تتمة الآية الشريفة فإن اللاّم لم تتكرر فيها، بل قالت: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾، و (اللاّم) ليست للاختصاص هنا كما في الأولى، فإنها هناك تعني السلطة المختصّة بالله وبالرسول وبذي القربى، وليس ذا قرية سواهم عليهم السلام؛ لما عليه روايات القوم سنة وشيعة.

ولو تساءل أحد: لماذا جعل السلطة ودائرة التدبير بيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه ذوي القربى فقط؟

نقول: هناك آية في سورة الحشر تقول: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ﴾[1] فهي تنفي الإقطاعية والرأس مالية، وهذا لا يكون إلا بإزاء حكم وإعطاء تدبير الأرض وَمَنْ عليها لأهل البيت عليهم السلام بُعداً عن الاحتكار والإقطاعيّة،

١ـ سورة الحشر: الآية ٧.

ونظام السوق... وغيرها مما يكون على حساب الطبقات المحرومة [١]، فإن أهل البيت عليهم السلام هم من يحارب الفساد ويطارده، وهم من يطهّر الأرض منه، وهذا هو الذي قالت عنه الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [٢].

وهؤلاء الذين تعنيهم الملائكة إذ إنهم لم يكونوا يعلمون شيئاً سوى ظاهر البشرية، وغير ناظرين إلى أن ﴿يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

١ـ إن القرآن دائماً ما يحكي منطق العدل والعدالة والوسطية، لا منطق الدنيويين والشيوعيين والاشتراكيين، ولا الرأس ماليين... بل ولا فنّد الملكية أيضاً؛ إلاّ أنه يتكلم بمنطق التدبير بجدارة وحق، كما نطقت بذلك الآية ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾، وكذا قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُمْ﴾ (النساء: ٢٩) وغيرها.

٢ـ سورة البقرة: ٣٠.

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] المفسدين، وبهم يطهّر الأرض وينشر العدل .

وهذا كله نستفيده من هذه الآية المباركة التي تدل على ذلك دون الحاجة إلى الرجوع للسنة المطهرة؛ كي لا يكون الدور أو إثبات مالهم عليهم السلام بكلامهم .

١ـ سورة المائدة: ٥٤ .

عودٌ إلى ذوي القربى وأن من ذواتهم التطهير

مما تقدم نقف على أن الخطاب في الآية: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ خاص بذوي القربى عليهم السلام بعيد عن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللاّئي خاطبتهن الآية ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ﴾[١] وهي على أقل تقدير المعصية الكلامية، وليس المقصود بها الفاحشة بالمعنى المتبادر عرفاً؛ لأن الشيعة بالإجماع ينفون الرذيلة عن زوجات الأنبياء[٢]، فيكفي مُعاداة أبناء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله الذين عناهم الله تعالى مِنْ قِبَل بعض زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم، والتطاول عليه شخصياً

١ـ سورة الأحزاب: ٣٠.

٢ـ ذكر علماءنا في كتبهم وفي تفاسيرهم في تفسير الآية (١٠) من سورة التحريم نظريتهم هذه.

باللسان[1]، وقد أُمر ﷺ بأمر من الله تعالى بأن ﴿قُل لَّآ

١ـ روي أنه جرى بينه ﷺ وبين عائشة كلام حتى دخل أبو بكر حكماً بينهما واستشهدته، فقال لها رسول الله ﷺ : «**تتكلمين أو أتكلّم؟**» فقالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقّاً!! فلطمها أبو بكر حتى دمي فوها، فقال: يا عدوة نفسها، أو غير الحق يقول!! فاستجارت برسول الله وقعدت خلف ظهره، فقال له النبي ﷺ : «**لم ندعُك لهذا، ولم نُرد هذا منك**» . إحياء علوم الدين (أبو حامد الغزالي) : ١٣٥/٢ ـ ١٣٦ باب (٣ ـ كتاب النكاح ـ آداب المعاشرة) .

قال الغزالي: وقالت مرّةً له ﷺ في كلام غضبت عنده: أنت الذي تزعم أنك رسول الله!! . إحياء علوم الدين: ١٣٦/٢ باب (٣ ـ كتاب النكاح ـ آداب المعاشرة) طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية بمصر .

وعن النعمان بن بشير قال: جاء أبو بكر يستأذن على النبي ﷺ فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله ﷺ !! فأذن له فدخل فقال: يا ابنة أم رومان ـ وتناولها ـ : أترفعين صوتك على رسول الله ﷺ ؟!! قال: فحال النبي ﷺ بينه وبينها... الخ . مسند ابن حنبل: ٢٧٢/٤ في (حديث النعمان بن بشير)، سنن أبي داود: ٣٠٠/٤ رقم (٤٩٩٩) باب (ما جاء في المزاح من كتاب النكاح).

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[١].

وقال ﷺ: «أذكّركم الله في أهل بيتي»[٢].

ومخالفة الله ورسوله معصية، وهذه هي الفاحشة المعينة. وقد تقدم وذكرنا ثلاث مراحل في عصمة أهل البيت عليهم السلام، وذكرنا أن المرحلة الثالثة هي: تطهيرهم البيئة والمحيط الذي يعيشون فيه، وهنا نشير إلى أمر آخر وهو أن الماء طاهر مُطَهِّر في الأمور المادّية الطبيعية، ولكن قد يكون موجوداً في بيئة معينة وحالة معينة فلا يُطَهّر، بل ولا يغدق على تلك البيئة وتلك الحالة الينعان واليرعان، مع أنه أينما وُجد صنع ذلك؛ لأنه من طبيعته كما في الآية:

١ـ سورة الشورى: ٢٣.

٢ـ السنن الكبرى: ج٥ ص٥١، صحيح ابن خزيمة: ج٤ ص٣٦، وفي الرواية المعروفة «**إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله... وعترتي أهل بيتي**» انظر: مسند أحمد: ج٣ ص١٤ و١٧ و٥٩، سنن الترمذي: ج٥ ص٣٢٩.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[١].

بينما أهل البيت عليهم السلام إذا لاحظنا فسنجد أنهم إضافة إلى طهارتهم فإنهم مُطَهِّر لما حولهم، أينما حلّوا وفي أي ظرف كانوا، فهم بقعة طاهرة تشعّ منها الطهارة، وهي من خواصّهم.

كذلك النور ـ لو أردنا أن نمثل به ـ فهو منكشف بذاته للعيان، إلاّ أنّه قد يحلّ مكاناً ترى فيها الأشياء التي ينعكس عليها ولا تُرى، إذ بطبيعة النور أن يُرى بنفسه ويكشف عن غيره لغيره. أما أهل البيت عليهم السلام فهم بما ميزهم به الله تعالى من صفات لا يكونون في بيئة إلاّ ويطهّرونها، فصفات عدلهم تنبثق على أهل الأرض من جَنَبات صفاتهم، والهداية والسداد على كل صعيد من أصعدة النظام البشرى المعقدة، ووجودهم وسماحتهم والإحسان إلى غيرهم...

١ـ سورة الأنبياء: ٣٠.

وغير ذلك مما هو من صفاتهم وخواصّهم .

فمن غير الطبيعي وغير الممكن أن لا تنبثق منهم للبيئة وتنتشر للمحيط، وعليه فطبيعة أهل البيت عليهم السلام بما زوّدهم الله تعالى به في المرحلتين الأولى والثانية، فإنهم عليهم السلام في المرحلة الثالثة بطبيعتهم هم إشعاع ومصدر ومنبع للطهارة أينما حلّوا .

علاقة الله تعالى بأصحاب الكساء

إن في آية التطهير التي هي الوجه الآخر الذي يبين معنى حديث الكساء - الحديث المتكرر مع الخمسة عليهم السلام - مع الآية المباركة في الاختصاص بهم دون غيرهم، فما هو السر في أن الله (عزّ وجلّ) جعل لهؤلاء الخمسة طابع الطهارة؟

إن التأمل والدخول في هذا الباب يفتح لنا أبواباً عديدة لمقامات أهل البيت عليهم السلام عند الله تعالى، أتحفهم بها من خلال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي خاطبه الله (عزّ وجلّ) من بين جميع خلقه - بل وحتى الأنبياء - بخطاب ينم عن علاقة خاصّة تنمّ عن عظمة المخاطب، فإن الله تعالى المتصف بالجبروت والكبرياء والعظمة يستعذب خاطر مخلوق من مخلوقاته، بل هو سيدهم، ذلك في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ

رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ ، ثم يقول (عزّ وجلّ) : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [١] .

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [٢] .

كما أنه لم يقرن الله تعالى اسم نبي من أنبياءه باسمه (عزّ وجلّ) سوى اسم سيد الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم في «لا إله إلاّ الله محمدٌ رسول الله» على ساق العرش [٣] ، وليس هذا من باب الصدفة بل إنه (عزّ وجلّ) جعل نبوّته صلى الله عليه وآله وسلم خاتمة النبوات،

١ـ سورة الضحى: الآيتان ٣ و ٥.

٢ـ سورة الانشراح: ١ ـ ٤.

٣ـ كفاية الأثر: ٧٤، ما جاء عن أنس بن مالك، الاختصاص: ١٠٩ في (حديث أمير المؤمنين عليه السلام مع إبليس) الرياض النضرة: ٢٧٢/٢، ذخائر العقبى: ٦٩، شواهد التنزيل: ٣٩٣/١ ح ٣٠٠، الدر المنثور: ١٥٣/٤ في تفسير سورة الإسراء .

وجعله هو خاتم الأنبياء؛ وذلك لعظيم منزلته ومكانته عنده (سبحانه وتعالى)[١] .

وعندما قرن الله تعالى اسمه باسم نبيه قال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ يعني أن كل الكون، وكل عالم الخلقة، كما أن فيها مظهر إلهي، فإن فيها مظهر نبوي، وهذا يعني أن اسم الله تعالى يتجلى نوره في اسم النبي ﷺ؛ لأنه تعالى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾[٢] فاقتضى أن ينعكس النور نوراً،

١ـ إن المقام الذي وصل إليه النبي ﷺ لم يصل إليه لا آدم ولا نوح ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى عليهم السلام؛ كما أن رسالاتهم تصب جميعها في مسار واحد وهو التوحيد . ولكن لكل نبي منهم عليهم السلام شريعة وأحكام وقوانين تتماشى مع زمانه، فيأتي الذي بعده فينسخها، إلا نبوة النبي ﷺ فإنها خاتمة النبوّات، وهو خاتم الأنبياء؛ لمقامه عند ربه، فلا ناسخ لشريعته ولا لقوانينه؛ إذ أن اسم الله تعالى مرتبط باسمه . (منه حفظه الله تعالى) .

٢ـ سورة التوحيد: ٣.

وتنعكس العظمة في أشرف خلقه.

ومع النبي صلى الله عليه وآله بلا تردد نرى ظهور أهل بيته عليهم السلام في المنزلة والمكانة، ففي آية النور يقول تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[1].

وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «هي بيوت النبي»[2]، وفي الزيارة الجامعة الكبيرة الشريفة نقرأ: «فجعلكم في بيوت أذن أن ترفع ويُذكر فيها اسمه»[3]، وغير هذا.

وعليه فرفع البيوت يعني رفع المنزلة، وذكر اسمه تعالى ـ كما تقدم ـ مقرون باسم النبي صلى الله عليه وآله، ولا ريب في أن له سود خاص ومقام منفرد عند الله تعالى دون أي أحد، حتى

١ـ سورة النور: ٣٦.

٢ـ الكافي: ج٨ ص٣٣١ ح٥١٠.

٣ـ من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٥٧٦.

أهل بيته عليهم السلام، إلا أنهم مرتبطون به، وهو الشافع لهم في الوصول إلى مقامه.

ولو طرقنا باب الروايات في هذا المقام لوجدنا ـ مثلاً ـ السيوطي يروي أن أبا بكر سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أو بيت علي وفاطمة منها؟ قال: «هو من أفاضلها»[١].

ومن هذا يتضح أن أمير المؤمنين علياً وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) ـ وهم مَنْ في البيت، وأصحابه ـ مِنْ سنخٍ آخر غير السنخ البشري العادي، بل هم من سنخ سيّد الخلق، ولذا تداعى هذا التساؤل إلى ذهن أبي بكر وهو سؤال الكثير من أمثاله[٢].

١ـ الدر المنثور: ج٥ ص٥٠، قال: أخرجه ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، شواهد التنزيل: ج١ ص٥٣٣ ـ ٥٣٤ ح٥٦٧ ـ ٥٦٨.

٢ـ شواهد التنزيل: ج١ ص٥٣٢ ح٥٦٦.

وفي جواب النبي ﷺ : «من أفاضلها» أراد أن يبين لهم أن هؤلاء ليسوا أنبياء ولكنهم مصطفون باصطفاء خاتم الأنبياء، ومطهّرون بطهارته، سؤال: لماذا لما أعطى الله (عزّ وجلّ) النبي ﷺ هذا المقام نقلتموه إلى أهل بيته؟

وجوابه: إن النبي ﷺ هو واحد من خمسة ضمهم الكساء، وقد تقدم أن الله تعالى خصهم بخصائص، فإن كان النبي ﷺ منهم وقد خصّه الله تعالى بخصوصيات ومقامات فكيف لا تشمل الأربعة الباقين معه. هذا يعني أن بينه وبينهم علاقة طيبة، وعلاقة وحدة، وعلاقة طبقة نورية ملكوتية مصطفاة تختص بهم دون آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، ولأن الله (عزّ وجلّ) لم يُشرك في طهارة النبي ﷺ ـ كما هو صريح الآية المباركة ـ سوى هؤلاء الأربعة؛ لذا قلنا بأفضليتهم المستقاة من أفضليته، ومكانتهم الممتدة من مكانته.

مقام أهل البيت عليهم السلام ومقام الأنبياء عليهم السلام

لقطات كثيرة هي تلك التي تصورها لنا الآيات القرآنية وروايات السنة النبوية في مقامات أهل البيت عليهم السلام ، وفيها تدليل وإظهار لأفضليتهم وفضلهم على سائر الأنبياء، حتى أولي العزم منهم، وهي مقامات خاصة شاركوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولأن التطهير نوع اصطفاء شملهم ولم يشرك الله تعالى معهم فيه أحداً، فهذا دليل على أن منزلتهم ومقامهم أرفع من أي مقام لأي أحد ممن اصطفاهم الله تعالى. ولو نظرنا إلى القرآن فإنه يقول: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾[١] ، ولم يُشرك معهم مريم ابنة عمران عليها السلام معهم،

١ـ سورة البقرة: ٢٥٣.

ولكن قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً﴾[١]، فهنا أشركها مع النبي عيسى عليه السلام، ولعلّه مقام لهما. أمّا فاطمة عليها السلام ـ وهي واحدة من هؤلاء الخمسة ـ فقد روى القوم أنها سيدة نساء أهل الجنة[٢]، وسيدة نساء العالمين[٣]، وليس أحد سوى آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم نساء الجنة، وفاطمة سيدة الثلاث الأخر[٤].

١ـ سورة المؤمنون: ٥٠.

٢ـ مسند ابن حنبل: ج٣ ص٨٠ في (حديث أبي سعيد الخدري)، صحيح البخاري: ج٤ ص٤١٩ (مناقب المهاجرين وفضلهم)، سنن الترمذي: ج٥ ص٣٢٦ رقم ٣٨٧٠، فضائل الصحابة (النسائي): ص٥٨ في حديث حذيفة بن اليمان.

٣ ـ المستدرك: ج٣ ص١٥٦، السنن الكبرى (النسائي): ج٤ ص٢٥٢ رقم ٧٠٧٨، كنز العمال: ج١٢ ص١١٠ رقم ٣٤٢٣٢.

٤ ـ كنز العمال: ج١٢ ص١١٠ رقم ٣٤٢٣٣، الدر المنثور: ج٢ ص٢٣.

وكذلك الريحانتان الحسن والحسين عليهما السلام فهما سيدا شباب أهل الجنة[١]، وشباب الجنة هم: نوح وعيسى وموسى عليهم السلام.

وفي الرواية: «لو لم يخلق الله علياً لما كان لفاطمة كُفءٌ»[٢]، وعليه فإن علياً عليه السلام أفضل من آدم عليه السلام، وأفضل ممن هم بعده، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام.

والحمد لله رب العالمين

١ـ مسند ابن حنبل: ج٣ ص٣٠ و٦٢ و٦٤ في مسند أبي سعيد الخدري)، سنن الترمذي: ج٥ ص٣٢١ رقم ٣٨٥٦ وص٣٢٦ رقم ٣٨٧٠، المستدرك: ج٣ ص١٦٧ و٣٨١ فضائل الصحابة (النسائي): ص ٢٠ و٥٨.

٢ـ ينابيع المودة: ج٢ ص٢٤٤ (الحديث الثالث والأربعون)، مقتل الحسين (الخوارزمي): ص٥٨، وفي حلية الأولياء: ص٣٤١: «لولا علي لم يكن لفاطمة كفوء»، ومثله في كشف الغمة: ج٢ ص١٠٠، الرياض النضرة: ج٢ ص١٦٨، ذخائر العقبى: ٦٥.

١ـ مصادر التحقيق

٢ـ فهرس الكتاب

مصادر التحقيق والتعليق

الاحتجاج ـ أحمد بن علي الطبرسي قُدِّسَ سِرُّهُ ـ دار الأسوة ـ قم .

أسباب النزول ـ أحمد بن علي الواحدي النيشابوري ـ مؤسسة الحلبي وشركاه ـ ١٩٦٨م ، ١٣٨٨ هـ ـ القاهرة .

إحياء علوم الدين ـ أبو حامد الغزالي ـ

بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ـ ـ مؤسسة الوفاء ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ـ بيروت .

تاج العروس ـ محمد مرتضى الواسطي الزبيدي ـ دار الفكر ـ ١٤١٤ هـ ـ بيروت .

تاريخ ابن عساكر (تاريخ مدينة دمشق) ـ علي بن الحسن الشافعي ـ دار الفكر ـ ١٩٩٤م ، ١٤١٥ هـ ـ بيروت .

تاريخ بغداد ـ أحمد بن علي الخطيب البغدادي ـ بيروت .

تفسير القران العظيم: تفسير ابن كثير ـ إسماعيل بن كثير الدمشقي ـ دار المعرفة ـ ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م ـ بيروت .

تهذيب الكمال ـ أبو الحجاج يوسف المزي ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٩٨٦م ، ١٤٠٦ هـ ـ بيروت .

جامع البيان ـ محمد بن جرير الطبري ـ الثانية ١٣٩٢ هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت .

حلية الأولياء ـ أبو نعيم الأصفهاني ـ دار الكتب ـ بيروت .

الاختصاص ـ الشيخ المفيد رحمه الله ـ جامعة المدرسين ـ قم .

الدر المنثور، جلال الدين السيوطي ـ دار الفكر ـ بيروت .

دلائل الصدق ـ الشيخ محمد حسن المظفر رحمه الله ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام ـ قم .

ذخائر العقبى ـ محب الدين أحمد الطبري ـ ١٣٥٦ هـ ـ مكتبة القدسي ـ القاهرة .

رسالة في أهل البيت وحقوقهم ـ أحمد بن تيمية الحراني ـ طبع دار الثقلين للثقافة الإسلامية ـ السعودية، وله اسم آخر هو (حقوق آل البيت بين السنة والبدعة) .

سنن أبي داود ـ سليمان بن الأشعث السجستاني ـ الأولى ١٤١٠ هـ ـ دار الفكر ـ بيروت .

سنن الترمذي ـ محمد بن عيسى الترمذي ـ الثانية ١٤٠٣ هـ ـ دار الفكر ـ بيروت .

السنن الكبرى (سنن البيهقي) ـ البيهقي ـ دار المعرفة ـ بيروت .

السنن الكبرى ـ النسائي ـ الأولى ١٤١٥ هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت

سِيَر أعلام النبلاء ـ محمد بن أحمد الذهبي ـ التاسعة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت

السيرة الحلبية ـ

شواهد التنزيل ـ الحاكم الحسكاني ـ الأولى ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م ـ وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران .

الصحاح ـ إسماعيل بن حماد الجوهري ـ الرابع ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .

صحيح ابن خزيمة ـ محمد بن خزيمة السلمي النيسابوري ـ الثانية ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت .

صحيح البخاري: الإمام البخاري ـ دار الفكر ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ـ بيروت .

صحيح مسلم: الإمام مسلم النيسابوري ـ دار الفكر ـ بيروت .

الضعفاء الكبير ـ محمد بن عمرو العقيلي المكي ـ الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

الطبقات الكبرى ـ محمد بن سعد ـ دار صادر ـ بيروت .

عيون أخبار الرضا عليه السلام ـ الشيخ الصدوق رحمه الله ـ منشورات الشريف الرضي ـ قم .

الغدير ـ العلامة الأميني رحمه الله ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

الفصول المهمة ـ السيد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله ـ

فضائل الصحابة ـ الإمام النسائي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

كتاب العوالم (عوالم فاطمة) ـ الشيخ عبد الله البحراني رحمه الله

الكافي ـ الشيخ الكليني رحمه الله ـ الثالثة ١٣٦٣ هـ ش، ١٤٠١ هـ ق ـ دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

كشف الغمة: عبد الوهاب الشعراني الشافعي ـ ١٣٢٧ هـ ـ المطبعة الميمنية ـ مصر .

كفاية الأثر: علي بن محمد الخزاز القمي رحمه الله ـ ١٤٠١ هـ ـ انتشارات بيدار ـ قم .

كنز العمال ـ المتقي الهندي ـ مؤسسة الرسالة ١٤٠٩ هـ ـ بيروت .

لسان العرب ـ ابن منظور الأفريقي ـ نشر أدب حوزة ١٤٠٥ هـ ـ قم.
المستدرك ـ الحاكم النيسابوري ـ دار المعرفة ـ بيروت .
مسند أبي يعلى ـ أحمد بن علي التميمي ـ الأولى ١٤٠٤ هـ ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق و بيروت .
مسند أحمد ـ أحمد بن حنبل الشيباني ـ دار الفكر، بيروت ـ و دار صادر ـ بيروت .
مصباح المتهجد ـ الشيخ الطوسي رحمه الله ـ الأولى ١٤١٨ هـ ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت .
معرفة الثقات ـ أحمد بن عبد الله العجلي ـ الأولى ١٤٠٥ هـ ـ مكتبة الدار بالمدينة المنورة ـ السعودية .
مقتل الحسين عليه السلام (مقتل السبط الشهيد) ـ أحمد بن محمد الموفق الخوارزمي ـ الشريف الرضي ـ قم .
المصنف ـ عبد الله بن أبي شيبة الكوفي ـ الأولى ١٤٠٩ هـ ـ دار الفكر ـ بيروت .
من لا يحضره الفقيه ـ الشيخ الصدوق رحمه الله ـ الطبعة الثانية ـ منشورات جماعة المدرسين ـ قم .

ميزان الاعتدال ـ محمد بن أحمد الذهبي ـ الأولى ١٣٨٦ هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت .

وفيات الأعيان: ابن خلّكان الشافعي ـ دار صادر ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ـ بيروت .

ينابيع المودة ـ سليمان القندوزي الحنفي ـ دار الأسوة ـ الأولى ١٤١٦ هـ ـ قم المقدسة.

فهرس
مطالب الكتاب

*****

تم الفراغ بحمد الله تعالى

في ذي القعدة. ١٤٣٠ هـ

وقد كان الشروع في رجب ١٤٢٩ هـ

قم المقدسة ـ عش آل محمد عليهم السلام